



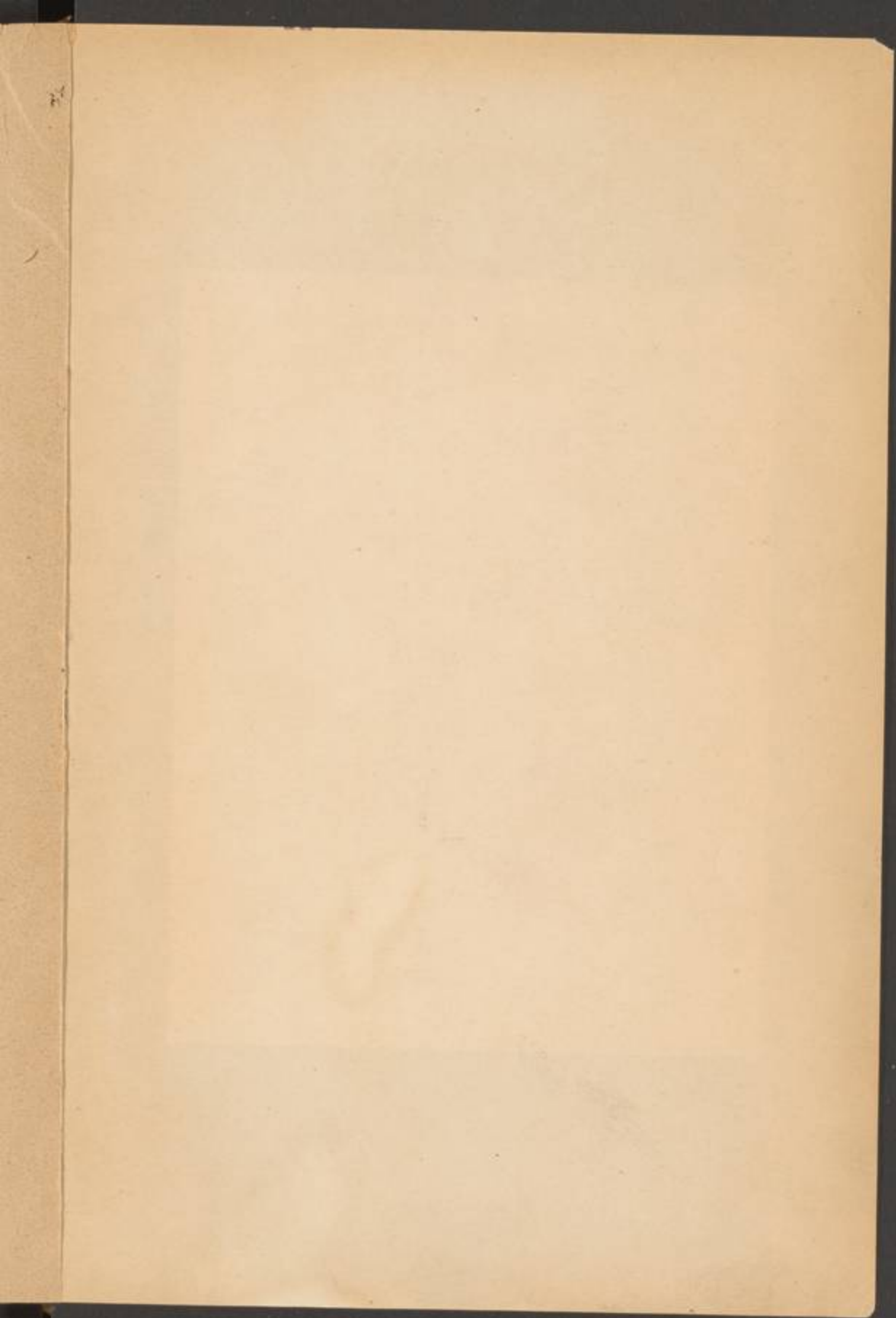
3 1142 00101 5679



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

DATE DUE





٥٠ al-Qusaymī, 'Abd Allāh

التوراة الوهابية

2272
.835
.339

بقلم

عبد الله علي القصبيني

(al-Thawrah al-Wahhābīyah)

، إن العقيدة الخالصة والقطرة السليمة
لا تزالان في الحجاز وفي هضبات نجد ،
(الأستاذ الزيات)

www

الطبعة الأولى

سنة ١٣٥٤ هـ سنة ١٩٣٦ م

حقوق الطبع محفوظة

المطبعة الرحمانية - بصره
شارع الكوفة رقم ٣٥ تليفون ٥١٥٢٢
سجل تجاري ١٣٠١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على الأنبياء والمرسلين
وعلى سيدنا محمد سيد الجميع

Hour East

BP

195

.W2

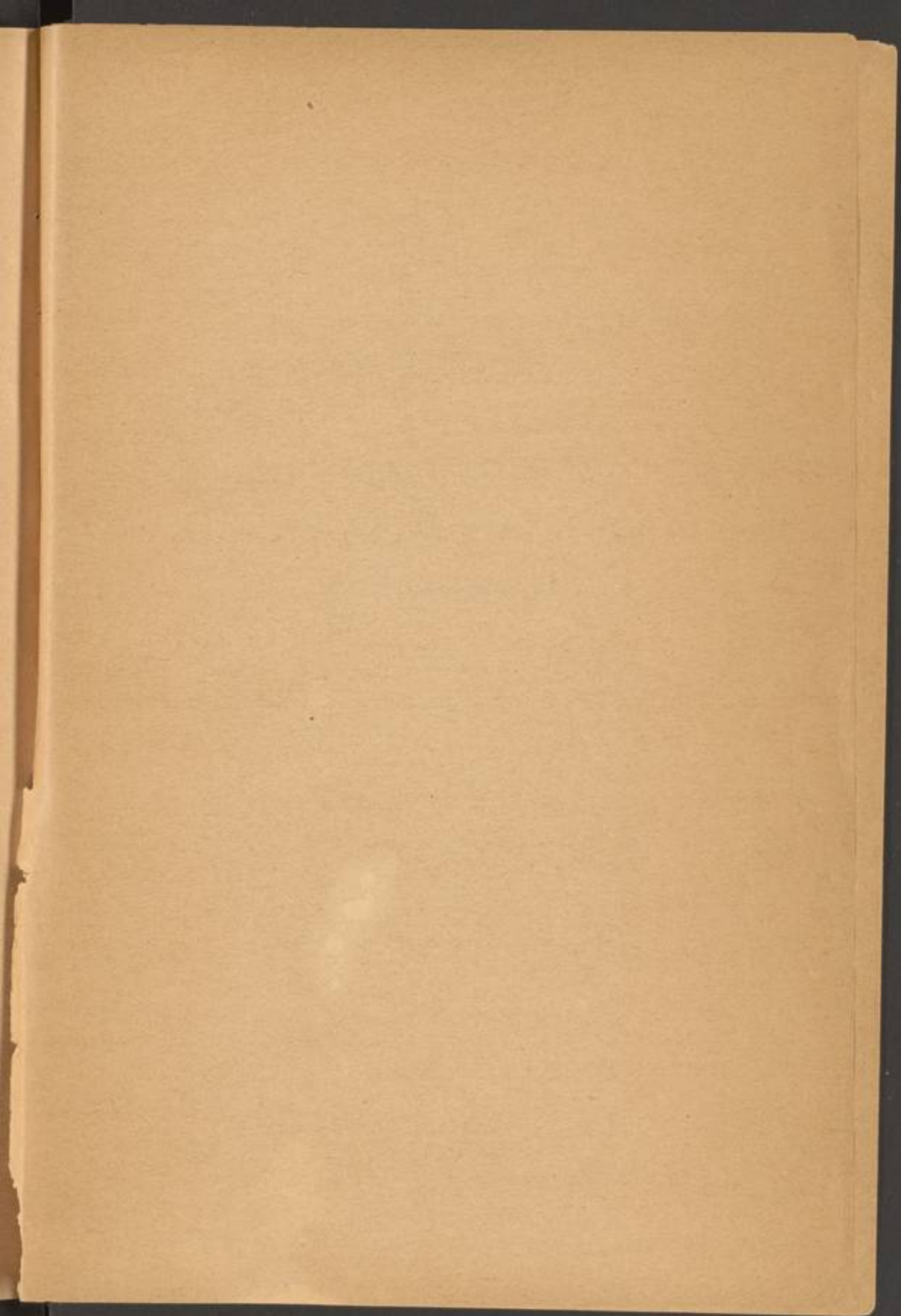
.Q8

e.1

الإهداء

إلى كل نائر على الظلم والجهل والفجور

المؤلف



أروع ثورة

في مصر ثورة ، وفي سوريا ثورة ، وفي فلسطين ثورة ، وفي بلاد المغرب ثورات ، وفي الهند ثورات ، وفي كل بلد ، بل في كل صدر ، بل في كل مظهر من مظاهر هذا الشرق ثورة عنيفة منذرة بالعواقب الوخيمة : في هذه الأقطار كلها ثورات ، ولكن منها المقنع المكظوم بالضغط وبالقمع الوجيع . وهذا يوشك أن ينفجر انفجاراً هائلاً مكنسحاً مدمراً . . ومنها المنفجر فعلاً ولكن بقدر ضئيل ، بقدر يكفي أن يكون نذير أمور عظام تتمخض عنها الأيام في القريب الآزف

وهذه الحركة ثورة أيضاً ، ولكن على الجهل والخرافات ، وعلى الجور والظلم والظالمين . ثورة كهذه الثورات ، ولكنها ثورة مشمرة ناجحة بالغة الغرض الأقصى ، ولكنها أيضاً أشمل من هذه الثورات كلها وأعم منها كلها . فهي ثورة إنسانية روحية قبل أن تكون وطنية جنسية . هي ثورة شعارها تحرير العقل والدين من الخرافات والجهالات ، وتحرير الإنسانية أينما كانت من أغلال الظلم والاستبداد والاستعباد ، وتحرير البلاد من أسباب القلاقل والاضطراب والزلازل ، ثم إعتاق الأنفس من الدل والخنوع للبشر والحكام الجبارين المعتدين ، ووضع البشر كلهم ملوكاً وسوقة ، أغنياء وفقراء ، في درجة واحدة ، لا يستعبد أحد أحداً ، ولا يذل أحد لأحد

في هذه الأقطار الشقيقة كلها ثورات شعارها كلها واحد، هو إخراج العدو المغتصب واستقلال الوطن استقلالاً خالصاً تاماً. أما هذه الثورة التي سنحدث القارىء عنها فاستقلال الوطن وجلاء العدو المغتصب بعض مطالبها وبعض شعارها وما ترمى إليه

إن الثورة بل وكل عمل في هذه الدنيا لا يستطيع الظفر والفوز والنجاح المطرد إلا إذا أسس على أساس متين قوى باهر. ونجاح العمل، ومنه الثورات، يكون ولا بد على قدر قوة أساسه وما ارتكز عليه من قواعد ثابتة محترمة. والثورة، ولا شك، أسلوب قوى من أساليب الحصول على ما يرمى إليه من عز وغلب وعظمة. ولكنها إن تكون مثمرة ناجحة بالغة هدفها الأقصى بل ولا الأدنى إلا إذا وضعت على أساس تتحطم على جنباته الآلام والكوارث، وتندق فوق صخرته أعناق الجبارين المفسدين وهو ثابت ثبوت القواد في الصدر

لا يكفي لنجاح الثورة أن تكون شجاعة مضحية بالنفس والنفيس، هجامة على قلب العدو وقواعد الظالمين، ولا يكفي أن تكون متعاونة متعاظمة مثابرة على العمل والمقاومة: هذه الأمور وأضعاف أضعافها من مظاهر الثورات لا يكفي لتتويج الثورة بتاج الفخار والفوز. ولكن قبل هذه الأمور لا بد أن يكون هنالك معنى مقدس عظيم تحترمه النفوس الثائرة وتدافع عنه بالحياة وبما هو أعلى من الحياة، ولا بد من معنى تقى فيه النفس وتنصهر فيه شهواتها وحيوانيتها وأنايتها وكل ما يقوم عائقاً عن الظفر والتفوق بالظفر

الحياة غالية جداً، جملت النفوس كلها على الضن بها وبذل كل
شئ دونها . فالنفوس لا تجود بحياتها الغالية، بل حياتها التي لا تملك
غيرها ، إلا إذا ما عرفت أنها إذا ما بذلتها عوضت ما هو أغلى منها
وأنفس . وأى شئ هو أغلى وأنفس من الحياة لدى الكائن الحي ؟ !
الوطن ؟ ! وأي شئ هو الوطن ؟ ! لا ريب أن الانسان لا يجود بحياته
لوجه الوطن مجرداً من كل معنى يأخذه ثمن حياته وعوض ما بذل . .
وإلا فالجاهير لا يجودون بأنفسهم لأجل أن يأخذوا أزمة الحكم من
يد إنسان ليضعوها في يد إنسان آخر ، أن كان أحدهما مولوداً في وطنهم
والآخر مولوداً في وطن آخر . أجل . قد يجود المرء بحياته في سبيل
الوطن ، لكن على معنى آخر وقصد آخر : يجود بها في سبيل الوطن إذا
ما شعر من أعماق نفسه بأن الغريب لا يريد غير إذلاله وانزاع حياته
من بدنه

على كل حال لا بد لمن ثار ، منادياً بالوطن وحرية الوطن ، من معنى
روحي ينصبه أمام عينيه يدافع عنه ويرتكز عليه دفاعه ويبيع نفسه
وروحه في سبيله ، ولا بد أن يجتمع الثائرون على احترام هذا المعنى
وتقديسه تقديساً يلاقون دونه الأذى وما فوق الأذى بالرضا
والطمأنينة . فإذا ما كان المعنى الذي يرتكز عليه الدفاع عن الوطن
مثلاً هو الدين وحرارة الدين ، وكان الثائرون يؤمنون إيماناً لا ريب فيه
بأن الدفاع عن الوطن والثورة التي يقومون بها من أجله هما من
أغراض الدين وفروضة ، كانت الثورة ، ولا شك ، مشيرة ناجحة ، وكان

الثائرون ، ولا شك أيضاً ، ناجحين بالغين غرضهم الأقصى بسهولة أو بصعوبة ، عن قريب أو بعيد . فإن من يدافع عن الوطن مؤمناً من أعماق نفسه بأن دفاعه عنه من أغراض الدين ومما يجازى عليه الخلود الأبدى في عالم النعيم الخالد ، إذا ما أتيج له أن يلاقى أجله في الميدان ، كان هذا الإيمان مما يخفف الموت وما هو فوق الموت عليه ، لأنه يعلم حينئذ أن الموت عبارة عن رحلة من دار الشقاء إلى دار النعيم ، فهو لاق هنالك جزاءه الأوفى وعوض روحه التي فقدتها ، فليست حياته ذاهبة هدرًا لأجل مصلحة من يحوزون ثمرات جهاده بعده من الأحياء ممن لهم لم يلقوا في سبيل جنى تلك الثمرات أذى ولا نصيباً . لا ريب أن الشعور بهذا المعنى يحمل الجندي على الضن بروحه وبذاتها ، ولا ريب أن الكثيرين يشعرون بهذا المعنى شعوراً يملك عليهم عواطفهم وأفئدتهم ويعطونه من الاعتبار والتقدير ما يستحق وما لا يستحق . وأنت ، إذا أرهفت أذنيك ، سامع ترجمة هذا الشعور من أفواه لآلحة في إبان الثورات والاضطرابات التي تتطلب التضحية والوجود بالأرواح وكذلك ، إذا ما كان الدفاع عن الوطن مرتكزاً على الجهاد في سبيل نصره معنى أدبي روحى ، لا تطيب الحياة للنفس إلا إذا كان ذلك المعنى هو القائم المحكم في العادات والافعال ، في الصغير منها والكبير . فقد تنجح الثورة ، وقد يغلو الثائرون في التضحية وفي الجهاد والنضال وغير ذلك من أشراط وشروط النجاح في العمل والجهاد والثورة . فإذا ما آمن امرؤ بأن فساد الأخلاق وفسو الجور والفساد أمور

لا يستطيع بقاءها ولا رؤيتها ، وأحس إحساساً صادقاً أن بقاء هذه الأمور منغص عليه حياته ، ثم أحس أن ارتشاف الموت جرماً حامياً أبرد على كبده من أن يشاهد الأخلاق الفضلى والمعاني الانسانية تهدم وتمتهن : إن المرء الذى تتمثل هذه المعاني السامية فى جنبات نفسه يستطيع أن ينجح فى عمله وأن يبذل التضحية التى تحقق ما يسمو إليه من إصلاح وتقويم وعزة

على كل حال لا بد لنجاح الثورة وغيرها من أمر معنوى روحى تمتلئ نفوس الثائرين به وبجبهه وبالذفاع عنه ، ويجمعون على تقديس هذا الأمر الروحى المعنوى ، ثم يرونه جديراً بأن يكون ثمناً لاغبين فيه لأرواحهم ، وثنماً غالباً يطلبونه فوق الأشلاء والدماء ، ويستلونونه من بين أنياب الليوث الضراغم . أما أن نصرخ بالثورة وبالوطن والاستقلال التام فى الطرقات والأندية ، ونرسل الصيحات التى تملأ منافذ الفضاء : أما أن نفعل ذلك ، ونحن لا نعرف معنى روحياً لا دينياً ولا خلقياً ولا أدبياً نستقبله فى جهادنا ونركز عليه كفاحنا ، فشئى ، مخالف لنواميس الاجتماع ، مخالف لسنة الله التى لا تبدل . ونحن نخشى ألا نجنى من عملنا بهذه الصورة سوى الخسائر والتضحيات التى تتكبدها وحدنا دون خصومنا ومن نصوب الثورة إلى صدورهم وأفئدتهم . نجري فى الطرقات صائحين بالثورة والاستقلال وجلاء العدو جلاء تاماً ، ونحن لا نمنى بالدين ولا بالخلق ولا بالأدب ولا بمعنى روحى سام ، بل ونحن

خلو من الفضائل ومن الاستقامة التي هي منشأ القوة المعنوية التي
 لا بد منها لمن يجاهد وهو أعزل من الحديد والنار . ففعل ذلك ثم
 نذهب نقترح على الأقدار ، ونذهب نملاً أفواهنا بكلمات التفاؤل ،
 وقلوبنا بالآمال . ثم نخدع بنيل شيء لاقيمة له مما نطلب ، وما هو في
 التحقيق سوى ملهاة نشغل بها عن الهدف الذي نسعى إليه ، ونلهو بها
 إلى أن نخمد وتبدد الرياح تلك الصيحات العالية والصرخات الداوية .
 فإذا ما سئمنا هذه الملهاة وطرحناها ورجعنا ننادى ونصيح بالاستقلال
 وبالجللاء وبالحرية من جديد رُمي أمامنا ملهاة جديدة هي كالأولى من
 حيث النتيجة والغاية وإن خالفتها في الظاهر والصورة ، فقطفاً جذوتنا
 ونذهب نعلق عليها بعيد الآمال والقبائل ، وهكذا دواليك إلى غير نهاية ،
 فلا نحن مستريحون من ندائنا وصراخنا ولا نحن بالفون أملنا ولا بعض
 أملنا ، وهكذا كل عمل لا يكون مؤسساً على قواعد من المنطق الفعلي
 الصحيح مآله على رغم أنف التفاؤل والآمال ، إلى الخيبة والفشل الذريع
 كنت أسير في الأيام التي اعصوصبت فيها الثورة بالقاهرة ، وقتل
 من قتل من الشباب الغض : كنت أسير في الطرقات فإذا مارأيت وجهاً
 مسروراً أو ثعراً باسماً أو إنساناً لاهياً ناعماً حز الألم في فؤادي
 وأحسست همماً تضيق به جوانب صدري ، وقلت وأسفاه !! هذا
 مسرور مغتبط وإخوانه وبنو وطنه يقتلون ويسجنون ويطاردون
 ويلاقون ألوان الهوان والعسف . هذا مسرور مغتبط هادي . البال
 ووطنه ثائر كله هائج كله على ذلك العدوان الجري ، الأثيم ، والغدر

الشيخ اللئيم . أما يحس هذا المسرور المغتبط ما يحس بنو وطنه
وبنو دينه وبنو سمائه ومائه وهوائه ؟ ! أليست هنالك رابطة روحية
تربط ما بين أنفس بني الوطن الواحد والسماء الواحدة والأرض الواحدة ؟ !
ألا ترى طول تجرع الذل والخسف انتزع من النفوس الإحساس
والشعور ؟ ! وإمامه لبني الوطن الواحد الذي لا يحس الواحد منهم
ما يحسه الآخر

ليصدقني القارئ أنني كنت إذا ما رأيت واحداً ، ولو من أعز
أصدقائي ، في تلك الأيام العصبية ، مسروراً ناعماً بالبال ، أحس نفسي تنفر عنه
وتحمل له البغض والعداء وكل معاني المقت ، وأنني إذا ما رأيت مهموماً
سدماً ، على وجهه آثار الاهتمام والجد والانزعاج أحس في نفسي ميلاً
إليه واحتراماً له . وذلك لأنني أراه مهتماً بوطنه وبني وطنه ، عزيز
الإحساس والشعور والعاطفة . ولا أوول همه وسدمه إلا هذا التأويل
قلت إن هذه الثورة نجحت وأثمرت ثمراً ظل يتزايد إلى يومنا
هذا ، وقلت إنها كانت ثورة إنسانية عامة ، ثورة دينية روحية
خلقية ، وإنها لم تكن ثورة جنسية خصب ، ولم يكن شعارها
الاستقلال التام أو إجلاء العدو المغتصب البغيض . لم يكن هذا شعارها
فقط ، ولكن كان شعارها تحرير العقول والأديان من الخرافات
والتدجيل ، وتحرير البشر من عبودية الأقوياء الظالمين المستبدين ،
ثم وضع الناس كلهم في موضع واحد ومستوى واحد من حيث
الحقوق القانونية والأدبية ، ومن حيث الواجبات الإنسانية . إنها

نجحت ، ولم يكن نجاحها عفواً ولا صدفة ، بل كان نجاحاً آتياً طبق
نأموس الأحداث والوقائع في الوسائل والغايات والأسباب والنتائج .
فقد كانت الثورة مؤسسة على أساس قوى لا يستطيع شئ زحزحته
ولا زلزلته : كانت مؤسسة على الدعوة إلى دين الله الحق ، بعد أن عفا عليه
الجهل والهوى والشهوات ، وعلى الدعوة إلى الأخلاق الفضلى ومحاربة
الريذة وكل ما يمت إلى الفسوق بسبب أو أسباب ، وعلى الدعوة إلى
القضاء على الظلم والاستبداد ، والدعوة إلى المساواة بين الناس في
الحقوق المدنية والأدبية ، وإرغام المتكبرين على النزول من سموات
كبرياتهم إلى أرض المساواة والعدالة : كانت الدعوة مؤسسة على أسس
المعاني الانسانية الخلقية المنزعة من رسالة جبريل سيد الملائكة إلى
محمد سيد البشر ، فما عرضت على أولئك القوم سليبي الفطرحى تدافعوا
عليها وفنوا فيها ووجدوا كل شئ ما خلاها باطلاً ، وأحسوا من أعماق
زوايا أنفسهم ألا لذة في هذه الدنيا إلا أن تكون هذه الدعوة هي
الظاهرة في الأرض فهبوا لنصرتها ، وأرواحهم بعض ما يجودون به في
سبيل نشرها وإعلانها ، فاخترعوا إنسانية جديدة مؤلفة من طهارة
الملائكة وشرف الإنسان البار ، فكانوا يصورون هذا المعنى الجليل في
أذهانهم حين انصباهم على الشر والظلم : « الجنة أمامكم والنار وراءكم »
فعرضوا على الناس طهارة الملائكة وشرف الإنسان البار معرضاً استطاع
أن يغلب على الناس عقولهم وعواطفهم ، واستطاعت أنفسهم أن تملئ
عليهم ما أملاه القرآن الكريم على جبريل ثم على محمد ثم الصحابة

ورجال الإسلام الأولين . فاستطاعوا هم أن يتغلبوا بناحياتهم
الملائكية^(١) على معاني الناس الشيطانية ، وأن يتغلبوا بإنسانيتهم على
ما في تكوينهم الفطري من حيوانية وأنانية . فاستطاعت طهارة الملائكة
وشرف الإنسان البار أن يضربا كل ما وقف في سبيل الخير والفضيلة
ضربة كانت هي القاضية الفاصلة

أما لو كانت الثورة التي سنحدثك عنها كهذه الثورات ، ليست
لها مبادئ أدبية معنوية ، بل ثورة تصيح بألفاظ مبهمه مجمله في آذان
ليس في قلوبها معنى من معاني الدين والأدب القوي الحر ، فلن يكتب
لها ما كتب من الفوز والنجاح ، ولما عدت أن تكون زوبعة من الزوابع
التي تكدر الجو الجين بعد الأحيان ثم تمضي في سبيل الفناء والانحجار
كأن لم تكن وكأن لم يكن شيء

إذن على هؤلاء الذين يشورون في وجه الظلم والظالمين ويطلبون
الحرية والاستقلال الواضح وجلاء العدو الداجن الثقيل ، أن يذكروا
قبل كل شيء أنه واجب عليهم أن يشوروا على ما في أنفسهم من ظلم
ونقص وضعف وعبودية للشهوات المادية الحيوانية قبل أن يشوروا
على أعدائهم الظالمين المعتدين وعلى ما في أعدائهم من هذه المعاني
المعقوتة

امرؤ ينهض منادياً للحرية المطلقة التامة ، وهو منغمس من قدميه
إلى أذنيه في عبادة شهوة نفسه وعبادة نصفه الحيواني ، فكيف يفلح !؟

(١) نسبنا إلى ملائكة . والصفريون يقولون إن الصواب النسبة إلى المفرد ،
ولكن الغلط هنا هو الصواب

أم كيف يستطيع العبد، ولو عبد نفسه، إحراز الحرية وكيف يفهمها
حق الفهم ويقدرها حق التقدير؟!

وامرؤً آخر يهب لمقاومة العدو المسلح المستبد، وهو أعزل
من السلاح، وأعزل من الدين الذي تستمد منه القوة، ومن الخلق الذي
يستلهم المثابرة والجلد على الضراء. فكيف يدرك مثل هذا مطلوباً، أم
كيف ينال ساعة من ساعات الظفر والانتقام؟! .

إن الذين يفكرون فيما يأتون وما يذرون، والذين يعرفون أن
الفعل كالقول منه منطقي ومنه سفسطي وهمي، يشعرون بأن الأعمال
الجسيمة، كالثورة مثلاً، لا يمكن أن يقدر لها النجاح إلا إذا ما ارتكزت
على قواعد أدبية إنسانية من دينية وخلقية. وأن الذين يحاولون رجوع
الناس إلى الجادة الواضحة المستقيمة، وأنفسهم في حاجة إلى هذه المحاولة
وإلى هذه الاستقامة، غالطون غلطاً فعلياً. وشر الغلط هو الغلط الفعلي
قام في العالم كله تقريباً ثورات نجحت أو كادت، نقلت أوضاع
الحكم والسلطة من يد إلى يد أخرى ومن وضع إلى وضع آخر،
من ملكية إلى جمهورية ومن جمهورية إلى ملكية، ومن ملكية إلى
دكتاتورية الخ. ولكن هذه الثورات كلها لم تكن منها واحدة مثل
هذه الثورة التي سنكتب عنها لا في الوسيلة ولا في الغاية ولا في الثمرة.
فإن هذه الثورات كلها قائمة على الظلم والفساد والتمرد وعلى الفوضى
الثائرة، لم تكن ثورة واحدة منها قائمة لأجل الفضيلة أو الأدب الحر
أو المعاني الانسانية السامية، ولم يكن أحد من القائمين بهذه الثورات

يريد بها العدل والإصلاح وهداية الضالين إلى سبيل الصواب ، أو يريد بها تخفيف ويلات الانسانية ، ولم يكن كذلك أحد منهم ألهب نار الثورة نصرته لضعيف أضيع حقه أو لحق طورد وعذب أو لأدب حر امتهن ، بل كان غرض هذه الثورات أجمع في أنفس موقديها ينحصر في مصلحة شخصية خاصة لا تتجاوز نفس صاحبها وابن بجدتها . زعيم ينقم من زعيم آخر أو يحسده على سلطنة نالتها يده ، فينهض مشعلا جحيم الثورة على نده وخصمه حسداً وبعياً ، أو صعاليك تهبط على أنفسهم معاني التمرد والعصيان والتوحش فيفزعون إلى الثورة فيكسون الأرض دماءً وأشلاء ، لالمعنى يزيد عن أن واحداً أو أكثر غضب لنفسه لمنفعة خاصة في الغالب مادية اقتصادية . وليس في هذه الثورات ثورة واحدة اندلعت وكان المقيم لها شيئاً إنسانياً كغضب لفضيلة أو عزة أودين أو شيء آخر من معاني الانسان الكامل

هذه مثلاً ثورة فرنسا الشهيرة التي كان شعارها الحرية والإخاء والمساواة ، والتي قام لها العالم وقعد ، والتي يقدر الناس فرنسا من أجلها إلى اليوم ويسمون لها أم الحرية ونصيرة الضعفاء والعدالة والمساواة . هذه الثورة الإفريقية التي يراها الغالون اللبنة الأولى في أساس الديمقراطية المشهودة اليوم في الأرض كانت قائمة ، ولا محابة ، على الظلم والتوحش والفتك بالأبرياء وقتل الأطفال الذين لم يكن لهم من الذنوب سوى أن كانوا يمتنون إلى نبيل من النبلاء بصلة نسب أو قرابة . كان يقتل يومياً في باريس بسكين المقصلة عشرات الألوف أشنع

القتلات بأيدي الثوار المناادين بالحرية والمساواة والإخاء، وكان أولئك الثوار، نصراء الحرية والإخاء والمساواة، يلتهون بمشاهدة الرؤوس تطاح من فوق الأعناق في ميادين باريس وطرقاتها صبراً، وكانوا يجردون في ذلك فرجة وملهاة وسلوة، وكانوا يقهقهون ويغرردون عند رؤية هذه المناظر الدامية المزعجة. كانت ثورة هوجاء، ثورة دامية وحشية همجية ليس فيها معنى من معاني الإنسانية. استمرت هذه الثورة مدة طويلة تجز تحت سكين المقصلة في اليوم الواحد عشرات الألوف من أشرف فرنسا المعرقة في الحضارة والنضوج الإنساني، وكان سبب هذه الثورة المدمرة هو في الواقع انتقاماً بحقاً من الاشراف والنبلاء، لم يكن السبب غرضاً إنسانياً البتة، ولم يكن الحامل عليها الفضيلة أو الإخاء أو الحرية والمساواة كما يدعون، ولكنه الحقد بعينه. ثم ماذا كانت نتيجة هذه الثورة المزعومة ثورة الإخاء والمساواة والحرية؟! وماذا أسدت إلى الإنسانية المسكينة من إخاء وحرية ومساواة؟! وماذا جنى طلاب الحرية والمساواة والإخاء من وراء فرنسا الثائرة؟! إن سوريا ومراكش والجزائر وغير هذه البلاد مغتصبات فرنسا تعرف جواب هذه الأسئلة!! وإن الدماء التي تسيلها صديقة الإخاء والمساواة والحرية، تجاوب عن هذه الأسئلة بأن هذا كله زور في زور، وجور في فجور، وصفاقة في صفاقة!!

هذه فرنسا الثائرة للإخاء والحرية والمساواة هي اليوم، بعد أن نالت هذه الأقاليم الثلاثة، تحارب الحرية والإخاء والمساواة، وتقط

رؤوساً تنادى بالحرية والإخاء والمساواة التي كانت شعار ثورة فرنسا ،
والتي استباححت لأجلها سفك الدماء وتمزيق الأشلاء .

إن أولئك الأشراف من فرنسا ، الذين ثارت عليهم فرنسا وجزت
رؤوسهم تحت المقصلة ، ما كانوا يصبون على الشعب الفرنسي الثائر من
الظلم والاستعباد والاستبداد بعض ما تصبه اليوم فرنسا على سوريا
وسائر مستعمراتها من بلاء وويلات . فرنسا تجازى الشعب
العربي المسلم هذا الجزاء الهمجي جزاء نصره العرب لها على
الأترک والألمان ، تلك النصره التي مكنت فرنسا من امتلاك رقبة
سوريا وغير سوريا . وما كان هؤلاء العرب الثائرون على فرنسا
يطلبون منها اليوم جزءاً ضئيلاً مما كان يطلبه الشعب الفرنسي الثائر
على النبلاء والأشراف . ومع هذا لا يلاقى الشعب السوري غير لعنات
فرنسا ومدافعها ودباباتها . إنه لا إخاء ولا حرية ولا مساواة ولا شيء ،
غير التدجيل السياسي والخرافات السياسية

هذا كله صحيح لامراء فيه ولا يمكن أن تعمل فرنسا ولا غيرها
من دول الاستعمار غير ما تعمله اليوم . ومن رجا منها غير ذلك فهو
شقي الرجا ضعيف الإدراك ، وهذا هو شأن من لا يؤمنون إلا بالأموال
المادية العجماوية ، ومن لا يرفعون بالمعاني الروحية رأساً . إن من يقول
لفرنسا أو غيرها من دول الاستعمار : اعدلى أو أنصق منك غيرك كمن
يقول للحنظل أثمر موزاً أو تفاحاً . ولن يثمر الحنظل موزاً أو تفاحاً
حتى تعدل فرنسا في حكمها — إلا أن تؤمن بالأموال الروحية ،

وإلا أن يكون في كف المطالب القائل سيف أو مدفع
إن هذه الدول لا تغزو إلا لابتزاز أموال الشعوب الضعيفة
بشتى الطرق، ولتقليم أظافرها خيفة أن تطلب منها حقها يوماً وفي
يدها الحسام، فهي إذن لن تدع الظلم والاستعباد حتى تدع طبيعتها.
وليس هنالك شيء يحملها على أن تدع طبيعتها سوى قرع النبع بالنبع،
وقل الحديد بالحديد

أما هذه الثورة فقد كانت لتحقيق معاني الإنسانية، ولتحقيق
الأمثال العليا الخلقية. فالظلم أول ما كانت تحارب، والاستبداد هو
عدوها الأكبر الذي تقاوم. والغريون يقولون إن الشجرة تعرف
بشعرها، والعرب يقولون الشيء يعرف بأثره. فلينظر المرء إذن إلى
أثر هذه الثورة أو هذه الدعوة. لينظر إلى الحكومة الحجازية النجدية
التمسكة بهذه الدعوة، السائرة على ما وضعته من أساس ونظم، ثم
ليخرج بنظره على هذه الدول الغربية فرنسا أو غيرها من دول الغرب،
دول الحرية والديمقراطية كما يدعى المفتونون، وكما يقول الجاهلون،
أطفال العقول، من تعرفهم المظاهر، ومن تخدعهم الشقاشق، ومن
لا ينفذون إلى الصميم

ويكفي أن نشير إلى موقف جلالة الملك عبد العزيز من اليمن بعد
أن انتصر عليه، ثم نشير إلى موقف فرنسا وإنجلترا من العرب بعد أن
حاربوا في صفهما ونصروهما على تركيا الدولة المسامة. فلا مشاحة إذن
أن هذه الثورة هي أروع ثورة بعد ثورة الإسلام الكبرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حدث الدعوة النجدية السلفية التي اصطلح الناس على أن يسموها وأن يعرفوها بالدعوة الوهاية من الأحداث الكبرى التي اهتز لها التاريخ في الشرق الأدنى والأوسط، وقلبت أوضاع الحكم في الجزيرة كلها وزلزلت الدول التي تصاب الجزيرة زلزلة أزعجت رجال حكوماتها ولفقتهم إليها بعنف وروعة لفتة الذعر والإكبار والإعجاب، واضطرت الناس في المشرق والمغرب، من لهم مصالح في الجزيرة ومن لا مصالح لهم فيها، أن يتجهوا إليها، وأن ينتطسوا تقلباتها وحركاتها، ويتبعوا ما يقع فيها من أحداث وشئون يعين العناية والاهتمام، وأن يتنبؤوا لها مختلف النبوءات ويكتبوا عنها مختلف الكتب والمقالات، وأن يشغلوا بدرسها من جميع نواحيها دينية وسياسية وأن يتقرب ذوو المصالح إلى زعامتها رغبة أو رهبة

ولدت هذه الحركة الدينية السياسية في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، أي منذ قرنين على وجه التقريب في شخص الشيخ محمد بن عبد الوهاب المشهور وهو شيخ من شيوخ نجد، وقام بنصرته وتأييده والدفاع عنه الأمير «محمد سعود» جد العائلة السعودية الأولى. وكان العرب في ذلك العصر الذي ولدت فيه هذه الحركة في حالة من التأخر والبؤس والجهل والضعف ليس وراءها مزيد لمستزيد، متفرقين

متحارين جاهلين مغلوبين، رجعوا إلى حالة من القوضى والجهل والفقر ،
إن لم تسكن شرّاً من الجاهلية الأولى قبل بعثة الرسول وإتقادهم ،
فايست دونها، وقد استطابوا هم تلك الحالة المزرية وقنعوا بها واستمروا
ما يجدونه فيها من القوضى والهمجية، ولعلمهم أصبحوا لا يدرون أن
هنالك ما هو خير مما هم فيه، ومن أين يدرون وأسباب العلم والدراية
قد تقطعت بهم؟! وقل في سائر الأمم الإسلامية ما قلته في العرب

فأنعشتهم هذه الدعوة وهذبهم وابتعثهم وجمعهم عليها حيناً
ووضعت أمام أعينهم من مثل الإصلاح والتهديب والدين والأخلاق
والتعاون ما جعلهم يرغبون فيها الرغبة القوية وما جعلهم يترامون في
حجرها ويستमितون في الدفاع عنها، وقد صاروا يرون فيها المخلص
الأكبر لهم من ذل الحياة الدنيا ومن عذاب الأخرى. فمثلوا أدواراً
من البطولة العربية الإسلامية في ميدان الجهاد والدفاع كانت حديث
الناس إلى عصرنا هذا... وأروا الناس من أمثال التقوى والاندفاع
وراء الدين والفضيلة ما كانوا يقرؤنه في تاريخ المجاهدين الأولين
من المسلمين

ولقد تناولت أفلام عربية، وأخرى أفريقية، هذه الدعوة،
وما زالت تتناولها، وحاولت بإخلاص وإعجاب أن تصفها وصفاً يكون
الحقيقة. وفي دور الكتب الأوروبية العامة المؤلفات العديدة عنها ،
منها عربية ومنها أفريقية. ومع هذه المؤلفات وهذا الانتشار والشهرة
نقول إن أغلب المسلمين يجهلون حقيقة هذه الدعوة وتخفى عليهم

مراميها، وعلى الخاصة منهم أيضاً. ولعل كثيرين من باحثي الغرب يعرفون عنها ما لا يعرفه المسلمون في العالمين: العربي وغير العربي والحقيقة المؤلمة أن قوماً يكتبون عنها ويحسنون الظن بها ويريدون نصرتها وهم لا يعرفونها معرفة تامة، فيجئ ما كتبوا خليطاً مشوهاً. وأصحاب الدعوة أنفسهم يقصرون كثيراً في إبلاغها وتعريفها إلى الناس، وإذا ما كتبوا كتبوا بأساليب عصور ولت وحات مكانها أساليب جديدة لا بد منها في عصرنا هذا. فالدعوة إذن في حاجة ملحة إلى درسها وبيانها للناس بياناً صحيحاً بعبارات يقرؤونها ويفهمونها.

ولقد كتبت محاضرة عن الدعوة وعن سير انتشارها أقيمت في أحد النوادي بالقاهرة، فاستحسن الإخوان الذين سمعوها بيان الدعوة بأسلوب المحاضرة، وذكروا أن الدعوة في حاجة إلى مثل المحاضرة وأن الناس في حاجة كذلك. كما ذكروا أن الدعوة إذا ما وصفت كما وصفتها المحاضرة أصبح من المرجو جداً أن يقبل المسلمون عليها إقبالاً عظيماً وأن يستفيدوا منها وألا يكون ثمت ما يحول بينهم وبينها

وهذا الذي ذكروه حق لأمراء فيه، فإن هذه الدعوة ليست سوى صورة قوية واضحة من صور الإسلام البري، دين الفطرة كما وصفه القرآن وعرفه المسلمون قبل أن تجترفه الأغراض وقبل أن تعبت به يد الفساد والدسائس الممقوتة. فالناس الذين لا يقبلون هذه الدعوة ولا ينعمون بها أحد رجلين: إما صاحب مصلحة دنيوية

لا يريد أن تفوته باتباع هذه الدعوة التي تأتي بصرامة الدجل والاحتيال على أموال الناس على حساب الابتداع والدعاوى الكاذبة . وإما جاهل بالدعوة وبأمرها لم يوفق إلى من يصفها له وصفاً لا يعدو الحقيقة بمبارة واضحة قوية . ويأتي بعد هذين السببين سبب ثالث قوى ، وقد يتناوله السبب الأول . ذلك السبب القوى هو السياسة المغرضة التي لا تعرف حقاً ولا حرجاً في سبيل مصلحتها الذاتية . وهذا السبب الأخير له الأثر البارز في محاربة هذه الدعوة كما سوف تعرف ذلك بعد .

ولولا هذه الأمور الثلاثة ، أو الأسباب الثلاثة ، لما كان هنالك عائق من أن يجتمع المسلمون على هذه الدعوة وينضوا تحت رايها ، ولما وجدنا اليوم من يظن بها الظنون ومن يتجافى عنها ولكن الحق ، ولا محالة ، غالب ولو بعد حين أو أحيان طويلة . والحقيقة وإن حبست أو طوردت أزماناً فلن تظل دائماً حبيسة طريدة ، ولن تلبث أن يأتي عليها يوم تحطم فيه القيود وتتسور الجدران فلا يقف في سبيلها شيء .

وإني في هذا البحث الموجز أضع أمام بصر القارئ ، فصولاً موجزة في بيان الدعوة وبيان حقيقتها وسر قوتها وحقيقة ماترى إليه في شيء من ترجمة ناصرها الأوحد جلالة الملك « عبدالعزیز »

ولعلى أكون موفقاً فيما رمت ، متحريا الحق وحده ، بعيداً عن

تمهيد

ليس لبلاد نجد قبل النهضة السلفية التي نخصها ببحثنا هذا من تاريخ يميزها عن سائر بلاد العرب المتمكنة في البداوة الجافة . فلم تكن في ذلك العهد سوى جزء كبير من جزيرة العرب فيه ما في غيره من فرقة متحكمة في الافراد والجماعات ، ومن تقاثل لا سبب له غير الرغبة في مافي أيدي الناس من مال وجاه ، وغير الرغبة في رؤية الدماء القانية . وفيه مافي سائر تلك البلاد من جهالة فاشية ومن خرافات ساذجة وعقائد مضحكة مبكية ، ومن ترك لشعائر الدين الاولى بل ومن جهل بها ، ومن افتتان بالكهان والمشعوذين ، ومن غلو في القبور واصحاب القبور . واجمالا كانت العقلية في أغلب البلاد النجدية ، في ذلك العهد الشبيه بعهد الفترة ، تشبه من كل وجه عقلية اولئك الاعراب الذين يعيشون اليوم ويعيشون ذلك العهد في اطراف الحجاز واليمن والعراق وحدود سوريا . اذا لنطو صحيفتنا عن ذلك العهد بما فيه

الحادث الاكبر

في منتصف القرن الثاني عشر الهجري وقع في نجد حادث لا نظير له في تاريخها كله ، بل حادث لا نظير له ، حسبما اعلم ، في بلاد العرب كلها ، اذا ما استثنينا حادث مولد منقذ البشرية النبي الاكبر عليه الصلاة والسلام . حادث قلب تاريخ نجد دينياً وسياسياً وادبياً واقتصادياً . ذلك الحادث هو نشأة ما يسميه الناس بالمذهب الوهابي ، وما نسميه نحن

بالنهضة السلفية الحديثة في قلب جزيرة العرب

ففي سنة ١١١٥ هـ ولد لقاضي بلدة (العينة) قرية من القرى القريبة من عاصمة نجد اليوم مولود أسماه أبوه محمداً . شغل ذلك المولود منذ صغره بتلقى الفقه والعلوم الدينية على أبيه القاضي المسمى عبد الوهاب . فأخذ من العلم ما أخذ ، ثم رغب في السفر فطاف في بعض بلاد العرب كالحجاز والعراق والتقى بالعلماء هنالك وسمع منهم وسمعوا منه وحدثهم وحدثوه . ورأى في البلاد التي وطئها قدماء مثل ما رأى في بلاده من المعتقدات الشنيعة كالعكوف على القبور والاستغاثة بالموتى . ورأى اقرار العلماء تلك المبتدعات ورضام عنها سواء في ذلك بلاد الحجاز مهبط الوحي ومصدر التوحيد وغير الحجاز . ورأى ما أصاب العرب من تفرق وفوضى وقلّة وذلة . فامتلات نفسه بأن المسلمين قد اخطأوا أخطاء فظيمة وبأنهم قد غيروا الكثير من الدين ، وامتلات نفسه بأنهم قد ادخلوا في اصول الاسلام العليا ما يباه القرآن وما تأباه السنة المحكمة . وكان يقوى عقيدته في أن المسلمين قد أخطأوا ما يطالعه اليوم بعد اليوم في أثناء دراسته السنة من الروايات القائلة بأن المسلمين لا بد أن يغيروا ، ولا بد أن يحدثوا في الدين ما ليس منه ، ولا بد أن يسلكوا مسالك الذين من قبلهم . فرجع إلى بلده وقد صمم على امر جسيم ، على أمر فيه مجازفة بالروح . صمم على ان يعالّن قومه بأنهم قد ضلوا الطريق السوي وأنهم قد زاغوا عن سبيل الصواب .

حقاً ان الموقف دقيق حرج ، يحتاج الى شجاعة ماضية والى ايمان

لا يبالي الاذى في سبيل ارضاء الله وارضاء الحق الذي اقتنع به وسبيل
انقاذ البشرية المعذبة . كما يحتاج الى عدة كافية من قوة اللسان واصابة
البرهان ، ليواجه ما يجابه به من شبهات واعتراضات لا بد منها ، ثم يحتاج
الى مؤازر قوى يحمي ظهره ويدفع عن دعوته .

وارحمته لذوى النفوس الكبيرة أولات الاحساس المرهف
والشعور المتوقد !! ماذا يلاقون من الآلام وماذا يحملون من الأعباء
في هذا الكون الصاخب بالآلام المثلث بالاعباء : الناس يذنبون وهم
يتجرعون مرارة الذنب ، والناس يفسدون وهم يتحملون أعباء الإصلاح
لما أفسدوا ، والناس يسبئون إلى ولى نعمهم وإلى أنفسهم وهم وحدهم
يجدون عذاب تلك الإساءة ويتذوقون عقابها المريرة . . يريدون من
كل نفس في هذا الكون المتمرد أن تكون كأنفسهم تسمو على
المعائب والنقائص ، وهذا ليس في مقدور الطبيعة . يريدون من هذا
الكون كله أن يحمل ما تحمله أنفسهم من الفضائل والهدى والبصائر
وإلا نصبوا ، وهذا الذي يريدون لم يكن يوماً من سنة الله

وارحمته لذوى النفوس الكبيرة أولات الاحساس المرهف
والشعور المتوقد : يتعبون أنفسهم ليريحوا غيرهم ، ويشقون أبدانهم
وأرواحهم ليسعدوا أرواح الناس وأبدان الناس . كأن كبر النفس
معناه كبر ألمها ونصبها . وكأن إرهاب شعورها معناه إرهاب ألمها
وعذابها . وكأن سموها على النقائص معناه سمو مصائب الناس وهموم

الناس إليها . وكان إبعادها عن المعيب معناه فيها إبعادها هي عن الراحة والهدوء والسكون .

ما أخلق ذوى النفوس الكبيرة بالثناء والعطف ، وما أحوج أبدانهم إلى السفر عن أنفسهم سويعات لتتذوق الراحة والهدوء ، وتتصالح الطمأنينة والعافية

عالم الرجل قومه بذلك الامر الخطير الجسيم ، وطلب اليهم ألا يدعوا الا الله وحده وألا يخافوا الا الله وحده وألا يرغبوا الا اليه وحده . وعالمتهم بأن عقيدتهم في تلك الأشجار والأحجار ضلال وزور ، وبأن كل ما خلا الله باطل . وعالمتهم بأنهم في حالة لا ترضى فلا بد من الانفلات منها ، ودعم ما ذكر لهم بالدلائل من كتاب الله ومن سنة رسوله . ألا يدعوا إلا الله وألا يخافوا إلا الله . ما أجملها من كلمتين وما أصدقهما وأفقههما في مسامع المؤمنين ومسارب الطبيعة !! الله الذى خلق كل شىء ويهلك كل شىء إذا شاء . ما أجدر كل شىء ألا يدعو وألا يخاف إلا إياه ! . أى عاقل يرضى لنفسه أن تدعو وأن تخاف غير الله من صغير وكبير . وكل شىء من ناطق وصامت وحى وميت ينادى ذلك الانسان الجاهل الذى أشرك مع الله غيره والذى جعل له أنداداً من الجماد والحيوان والإنسان : بأن دعوة ما خلا الله باطل وزور وبأن خوف سوى الله جبن وخيانة

ألا يدعوا إلا الله وألا يخافوا إلا الله . كلمتان صدقهما كل شىء وتواطأ عليهما كل شىء . الكائنات كلها : تشریحها وتديرها وطبيعتها

وكل شيء فيها يصدق هاتين الكلمتين ويعترف بهما وإن جهل ذلك
الإنسان أو أباه .

آمن بدعوته النزر القليل وتصايح به سائر الناس وأهل الشوكة
منهم سنة الله في الدين خلوا من قبل ، واغروا العبيد والرعاع بايذائه
والجائه الى مغادرة قريته ومفارقة أهله واحبائه ، فخرج غير آسف ولجأ
الى قرية أخرى يقال لها « الدرعية » وكان في هذه القرية الأمير محمد
سعود ، مؤسس المملكة السعودية الأول وجد آل سعود بناة نجد
الحديثة وأصحاب تاريخها الزاهي المجيد . فلجأ الشيخ محمد بن عبد
الوهاب الى بيت الأمير محمد سعود ، ودعاه الى نصرته ومؤازرته
بعد أن شرح له أمر ما يدعو اليه وبعد أن بين له انه دين الله القديم
الذي لا يخذل من قام به والذي لا يقبل الله ديناً سواه ، وعرفه الأخطاء
التي وقع فيها قومه من حيث يشعرون ولا يشعرون ، فاستحقوا من
أجلها ما أصابهم من ضعف وذلة وقلة وتحلل روابط ، وأقنعه بأنه فائز
ولا بد إن آزره على تحقيق مبادئه العليا التي دعاه إليها

بعد تفكير قليل وتردد قليل شرح الله صدر الأمير لما دعاه إليه .
فبايعه على النصره والمؤازرة وعلى الدعوة الى ما دعاه اليه هذا الضيف
الكريم والطارق الغريب غريب المبدأ والبلد . . واستعد المتبايعان
الكريمان : صاحب الشوكة وصاحب الدعوة لمواجهة الخطوب
والصعوبات التي لا عاصم منها ، فأباح صاحب الشوكة لصاحب الدعوة أن
يجهر بدعوته وأن يقول ما يشاء في سبيل الله وفي سبيل انقاذ قومه ، وهو
وآله ومن لا يعصون أمره من ورائه يدفعون عنه ويحولون بينه وبين

الأذى ، ويحملون من استطاعوا حمله على قبول الدعوة والايان بها
بأذنين ما يملكون من جاه وشرف لذلك . فأمن جانب الشيخ وعز .
فصدع بدعوته وصرخ بكل ما كان يتلجلج في صدره وما كان يجمع
به لسانه فيبديه أحياناً ويكتمه أحياناً أخرى . فأحدث في تلك القرية
المتواضعة دويماً هائلاً ، وشغل بأمره وأمر دعوته القوم ، وأصبح أمر
هذه الدعوة الغريبة بينهم الشغل الشاغل ، والحديث المعاد الذي لا يمل
في القرية وما حولها من القرى . فأنجفل الناس سراعاً اليه والى سماع
أحاديثه وآرائه التي ما سمعوا بها . منهم من يريد بذلك الفكاهة والفرجة ،
ومنهم من يريد أن يسمع السوء ليذيعه ، ومنهم الشاك الحائر ، ومنهم
من يريد الهداية والفائدة إن وجدها . فطفق الشيخ يعرض مبادئه على
هؤلاء كلهم ، وجد في تحسينها وترغيبهم فيها ، حتى استجاب له أكثر
أهل البلدة وأحبوه كما يحبون أنفسهم وأبناءهم ، وبايعوه على المناصرة
والمؤازرة ، فاشتد أمره وعظم وأصبح مسموع الكلمة في تلك القرية ،
فأمر بإقامة الحدود المضاعة وأمر بقطع الأشجار التي كان يعتقد فيها
الجهال والنساء الشنيع من العقائد ، وأمر بهدم القبور المشيدة الموهوبة
من التعظيم والاجلال ما لا يكون إلا لله عز وجل ، والتي كان يقع
حواليها مثل ما تسمعه اليوم يقال في أضرحة الصالحين من الابتهالات
والضراعات . أمر بذلك كله فنفذ . فعظم على أهل البلاد وزعماء
البلاد وعلمائها الرسميين آفة كل إصلاح . ونشر هؤلاء عن الشيخ مقالة
السوء ورموه بالزيغ حيناً وبالزندقة حيناً آخر ، وأغروا به الكبراء

بأنه طامع في الرئاسة متوسل إليها بدعوته الجديدة، وقالوا فيه ما نسمعه
يقال كل زمان فيمن دعا إلى إصلاح غير مألوف للدهماء والجهور .
فتألب الأقسام على الشيخ ودعوته، وعلى الأمير الذي آواه ونصره،
وحاولوا القضاء عليهما مرات . ولكن الله جلت قدرته شاء لهذه
الدعوة أن تنتشر وشاء لناصرها أن ينتصر . فلم يمر زمن طويل حتى
عمت دعوة الشيخ وعم سلطان من آواه أغلب البلاد النجدية .
وشاء أن تظل هذه الدعوة تنمو وتتسع بعد موت مؤسسها في كنف
ذريتها آل سعود وآل عبد الوهاب إلى أن تكونت هذه المملكة
العظيمة التي نسميها اليوم المملكة العربية السعودية معقد آمال
العرب والمسلمين .

اهم ما دعا اليه الشيخ وما انكر عليه

أولاً - منعه دعوة الأموات واستغاثتهم . فقد بدأ فيما بدأ به
بأن نهى عن دعاء غير الله وشدد في النهي وعد ذلك من الأمور
الفضيحة المنافية للتوحيد المخالفة لأصول الاسلام، وأصول دعوة
الأنبياء والقرآن والسنة، المذهبة للكرامة والعزة والاباء من النفوس،
المولدة للجبين والخور والضعف . وعزز قوله هذا بالآيات والأحاديث
النبوية كقوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقوله
(إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم
إن كنتم صادقين) وقول الحديث « وإذا سألت فاسأل الله » ،

والآيات والأحاديث التي عددها في هذا الموضوع لأتحصى -
فأنكر عليه مخالفوه ذلك وعدوه من المروق ورموه بيفض الأنبياء
والصالحين وإنكار كراماتهم . ولكنه رد عليهم بأن حب الأنبياء
والأولياء شيء ودعاهم شيء آخر . فنحن نحبهم الحب الشرعي
المعقول ، حب العاقلين ، ولا نغلو فيهم غلو الجاهلين المعتدين ، ورد عليهم
في ذلك ردوداً مقنعة وضعها في كتب لم يقابلوها من جانبهم إلا
بالسباب والهجاء .

ثانياً - منعه الابتداع في الدين منعاً باتاً لا هوادة فيه ولا استثناء
وأمره بالاعتصام على ما جاء عن صاحب الرسالة مستدلاً بالأحاديث
الصحيحة . من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « من أحدث في أمرنا
هذا ما ليس منه فهو رد » وقوله « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة
وكل ضلالة في النار » . فمنع لذلك الأذعية الفاسدة والأذكار التي لم
ترد عن صاحب الشريعة ، ومنع الشطح والرقص في الذكر ، ومنع الطرق
المبتدعة وما إلى ذلك .

وجلى أن القول بالابتداع قول لا ضابط له ، وهو يبيح لأصحاب
الاهواء والأغراض أن يعبثوا بالدين وأن يدخلوا عليه ما يبرأ منه وما
يبرأ منه الذوق والعقل بحجة أن ذلك بدعة حسنة ، كما فعل ذلك
طوائف شوهت جمال الدين .

ثالثاً - إيمانه بما تواردت عليه الكتب المقدسة ، ولا سيما
القرآن ، من أن الله سبحانه وتعالى مستو على العرش استواء يليق به

لا كما يستوى المخلوق . وذلك وارد في آيات لا تحصر في عبارات مختلفة ، ووارد في السنة الصحيحة في روايات جمعها بعض الحفاظ فجاءت كتاباً مستقلاً . كما فعل الحافظ الذهبي في كتابه « العلو » وكما فعل ابن القيم في كتابه (اجتماع الجيوش الاسلامية)

وقد نازعه مخالفوه قائلين إن ذلك يقتضى التجسيم وتشبيه الله بخلقه . فرد عليهم قائلان إن جميع الكتب السماوية مصرحة بذلك تصريحاً لا يقبل الجدل ، والله أعلم حيث يصف نفسه وأعلم بما يجوز في حقه وما لا يجوز . وقائلان إن المسامحين قائلون بذلك قبل ظهور هؤلاء المخالفين بلا نزاع بينهم . وقائلان لهم أيضاً - وما أبلغها حجة - إنكم أنتم وجميع العقلاء تصفون الله بصفات العلم والقدرة والسمع والبصر ونحو ذلك . ولم يقتض أن يكون تشبيهاً أو تجسيمياً ، ومثل ذلك وصفه بالعلو وبالاستواء على العرش ولا فرق بين الأمرين . وقائلان إن جميع فطر البشر قائمة بذلك ، والناس كلهم مفظورون على الايمان بأن الله فوق خلقه ولهذا يرفعون أيديهم وأبصارهم مع اتجاه قلوبهم إلى السماء عند ما يرغبون أو يرهبون . وقد كان الفلاسفة فلاسفة اليونان وغيرهم يقولون بعلو الله سبحانه وتعالى ، ذكر ذلك ابن رشد في فلسفته

رابعاً - أمره باقامة الحدود وأخذ المجاهرين بالمعاصي بالشدة في زمان نسي الناس أن ذلك من الدين . فشق هذا على قوم لا يستغنون عن المجاهرة بالعصيان وعن المجاهرة بالبنى والعدوان ، فلم يجدوا بداً من مناوآته دفعاً عن أنفسهم المريضة

خامساً - قال: لا معصوم من الخطأ غير الأنبياء، وقال: ليس هنالك من يحرم الاسلام مخالفته سوى نبي الله عليه الصلاة والسلام، وإنه لا يجوز للمسلم أن يدع حكم الله أو حكم رسوله، اذا ما بان له وصح عنده، لقول انسان ما، وإن للمسلم أن يفهم كتاب الله ويتدبره وإنه لا حجر على العقول وإن التفكير في حدود الاسلام ودائرة القرآن والسنة مباح بل لازم مفروض

هذه مجامع الأمور التي دعا إليها الشيخ والتي أنكرها عليه الناس في زمنه والتي ينكرها عليه اليوم خلق كثير

وبنظرات صادقة نستطيع أن نحكم بأنه في أقواله هذه كلها لم يخالف الاسلام في شيء ولم يقل غير ما قال الله وما قال رسوله وما أطبق عليه المسلمون في عصور الاسلام الأولى القوية. ويتبين ذلك واضحاً لكل من وفق أن يقرأ كتب السلف قراءة فهم وتدبر

نظرة نافذة

ينظر قوم إلى هذه الدعوة نظرة طائشة سطحية لا تنفذ إلى روحها فلا تنال شيئاً من إعجابهم فيرجعون منكربين عليها أو نائنين عنها على الأقل. وقوم آخرون لا يهمهم أن يفكروا فيها، بل لا يهمهم أن يفكروا فيما لم ينشأوا عليه وما لم يجدوا عليه الآباء والأجداد. وهؤلاء هم الذين لا يهمهم حق ولا باطل، فلا يؤسفهم أن يفوتهم الحق كما لا يرضيهم أن يكونوا على الحق. فلا عجب إذا لم ترق هذه الدعوة في أنظار هؤلاء

ولا عجب إذا لم يكونوا من أهلها . وهؤلاء لو كانوا على غير
الاسلام لما فكروا في الدخول فيه . وأما أولئك الذين ينظرون إلى
الأشياء ولا سيما الأشياء الروحية نظرات نافذة فاحصة ، أولئك الذين
يؤسفهم أن يمس اعتقادهم أو آراءهم شيء من الخطل والاعتساف
والضعف . أولئك الذين يعلمون أن الله سبحانه لم يخلق لهم العقول
والحواس عبثاً وإنما خلقها لهم لينظروا بها فيميزوا ويختاروا لأنفسهم
أجل الآراء وأفضلها . هؤلاء هم الذين تعجبهم هذه الدعوة الصحيحة
الناضجة . هذه الفكرة الإسلامية الأولى قبل أن تشوب الإسلام
الشوائب الأجنبية ، وقبل أن تعفو على عقيدته الصحيحة عوافي
الأغراض والأهواء والجهالات .

إن روح هذه الدعوة ومغزاها الأكبر هو أن يكون المسلم
عزيزاً بربه ، عزيزاً بدينه الإسلام ، عزيزاً بنفسه . لا يعرف الذل
والخضوع إلا لله رب العالمين ، ثم يعلم بعد ذلك أنه إن لم يكن فوق أهل
الأرض كافة فليس دونهم كافة ، وليس لهم عليه ميزة إلا بالفضائل
التي هو قادر على السبق بها والاتبان بغرائبها

هذه الدعوة ترى أنه من أكبر الجنايات على الإنسانية وعلى
الشرائع السماوية أن يخضع المرء لغير ربه وأن يخضع لعبد من عباد
الله حياً كان ذلك العبد أو ميتاً ، وترى أنه من أعظم الخطل أن يشعر
المرء قلبه خوف مخلوق ما ، وأن يملأ جوانب نفسه برجاء مخلوق ما
حياً كان ذلك المخلوق أم ميتاً . خلق الله الإنسان عزيزاً فيجب أن

يظل عزيزاً ، ذا كرامة فيجب أن يحافظ على كرامته ، فلا يهينها بالخضوع لعبد مثله ولا سيما إذا كان ذلك العبد ميتاً . فلا يرجع إلى مخلوق ما إذا ما رغب أو رهب ، إذا خاف أو رجا . يجب أن يكون الإنسان عزيزاً بربه في حالتي السراء والضراء فلا يمد يديه إلى الارض إلى ذلك الميت في الحضيض قائلاً : يا فلان أعطني بل يرفع يديه إلى السماء إلى ما فوق السماء إن كان ثمت شيء فوق السماء قائلاً : يا الله أعطني . يضرب في الأرض شرقاً وغرباً بل يضرب الأرض نفسها بعصاه ويديه طلباً لما يحتاج اليه قائلاً : يا هذه إن الله سخرك لي فلا بدّ من أن أنال حاجتي منك بعز وإباء

هذه الدعوة تقول : كتب الله لنفسه المجد والعزة في السماء ثم كتبهما للمسلم في الأرض فلا يفرط في ذلك المجد وتلك العزة فيذبحهما على عتبات الأولياء والصالحين على حساب التوسل والولاية والورع هذه الدعوة تقول : إن من اعتاد الخضوع للأموات هانت عليه نفسه وهانت عليه كرامته وهان عليه الخضوع لمن يحمل في يديه الحديد والنار من الأعداء المغيرين الغاصبين ، فلا يستطيع الدفع عن الحرمات أو الزياد عن الوطن ، كما لا يستطيع أن يقف في وجه الباغى المعتدى قائلاً : قف مكانك . إن ها هنا رجالا لا يهابون إلا الله ولا يخضعون إلا له

هذه الدعوه تقول : إن غلو المسلمين في الأولياء المزوج بذلك الخضوع التام بهذا الشكل المسمى توسلا ووساطة هو الذي أثار

المسلمين في الشرق والغرب يستلينون فراش الذلة والهوان ويستطيبون
البغى والعدوان . ولولا هذا الذي اعتادوه فاستعذبوه لعزت منهم
نفوس ولقاتل لأن نلقى الله أعزة لم نخضع إلا له بين طعن القنا
وخفق البنود ، خير لنا من أن تلقانا الحياة المشوبة بالذلة والمهانة بين حن

الغواني وضرب العود

هذه الدعوة تقول إن الإسلام يريد من أهله أن يكونوا أعزة
فعلمهم ألا يخافوا إلا الله وألا يفزعوا إلا إليه وحده . يريد منهم
أن يكونوا عبيداً لله فيخصوه بالخوف والرجاء ، ويخصوه بكل أوضاع
العبودية ومعانيها ، لا يخشوا جباراً مالكا ما ملك من أسباب القوة
والسلطان ، ولا يرجوا مخلوقاً معطى ما أعطى من أسباب الدنيا
والكرامة . يريد منهم أن يعيشوا كما ولدوا أحراراً . ولكن هؤلاء
أرادوا لأنفسهم ما لم يرده الله لهم ، فهانوا عليه تعالى وهانوا على أنفسهم
وهانوا على الوجود كله ، فحقت عليهم كلمة الله القديمة (وما ظلمناهم
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وحقت عليهم كلمة الوجود الأزلية :
من أهان نفسه لم يحترمها الوجود

يا سبحان الله ما أجهل الإنسان وما أكثر عجائبه !! بينا نرى فريقاً
منه يأبى السجود لخالق الوجود ، نرى فريقاً آخر تذلل نفسه وتصغر
فيرضى السجود للإنسان . الإنسان الميت ، ويرضى له بالعبودية . وبيننا
تراه يمعن في الهرب من الموت لهوان الموت والميت عليه إذا بنا نراه

ينسى ذلك ، فيخر أمام الميت خاضعاً ذليلاً مستغيثاً به ، وهو في هذا كله يرد على نفسه ويعترف بفعله ، وإن أُنِيَ بقوله ، بأن الميت خير منه وأنه إذ يهرب من الموت إنما يهرب من الحياة ومن الكمال والقوة والعزة أيضاً

جعل الله الموت برهاناً على بطلان عبادة الإنسان الإنسان ، فاتخذ الإنسان لجهله ذلك دليلاً على عبادة الإنسان ، فعبده يوم يموت وعبده يوم يقوم البرهان على بطلان عبادته . وهو في هذا يقيم الحجة من نفسه على نفسه بأنه أسخف المخلوقات وبأنه أخط أنواع الحيوانات ، وأنه مافاقها إلا بأن تفنن في إبداع المساخر والمهازل وفي قدرته على الافتنان في الضلال والحماقة . ولو أن الحيوان نطق لكان أول منطقته لعنه الإنسان على ماضى لنفسه من عقيدة ، وعلى ماضى لعقيدته من منكرات . ولو أنه نطق لكان من أول منطقته ألا يكون ناطقاً لثلا يكون إنساناً ، يرضى لنفسه أخس الأشياء ويختار لها الأم الأصباء

هذه الدعوة تقول : المسلم يجب أن يكون قوى الإرادة حرها لا يتعاطى شيئاً يضعف إرادته أو ينتقص حرته ، فلا يتعاطى الخمر ولا يسرف في قصد الملاهي ودور الطرب وفي التجميل الظاهري ، ولا يتعاطى الدخان ولا سائر المخدرات « والمكيفات » الضارة بالجسم أو بالعقل أو بالمالية أو بالإرادة والحرية ، ولا يلبس الحرير ولا الديباج ولا الذهب ، فإن هذه الأمور كلها تضعف الرجولية والحرية والإرادة ، كما تنتقص الجسم والعقل وتبيد المالية . ولا بد من حفظ المال

ولا سيما عند الأمم الناشئة الضعيفة ذات المالية القليلة « ولا مجد في الدنيا لمن قل ماله » كما يقوله « المتنبي ». وإن متعاطى هذه الأمور مأسور الحرية محكومها . وليس برجل كامل ، ولا شك ، ذلك الذى إذا فقد الدخان يوماً أو سويعات تغير خلقه وقسا وضعفت نفسه وأصبحت غير قادرة على القيام بأعمالها المعتادة . ذلك الرجل الذى لو منع الدخان سويعات لباع لازمات عيشه وحياته أو ملبوساته أو أثاث منزله أو ارتكب السرقة أو فعل ما استطاع فعله فى سبيل الحصول على ذلك « الدخان » الذى اعتاد تعاطيه فأصبح غير قادر على فراقه وأصبح عبداً لتلك اللذائف المضحكة من عقل شاربها . وليس برجل كامل ذلك الفتى أو الرجل المحلى أصابعه بذلك الذهب البراق الوهاج ، أو المكسبى ذلك الحرير الناعم الضعيف . ذلك الفتى أو الرجل السائر بين قومه المغلوبين المستعبدين أو الجائعين العارين ، ينظر تارة إلى ذلك الخاتم البراق ، وتارة إلى ذلك الثوب الحريرى الضعيف الناعم ، نظرات كلها الغرور والمعجب والكبرياء . نظرات الطاووس إلى ريشه وعرفه . ذلك الرجل أو الفتى لا يزيد على أن يكون طاووساً أو فتاة مدللة أو دمية وضعت فى ركن من أركان البيت إذا ماجد الجذ واجر البأس ، وأصبح الفوز والسلطان للرجولة الخشنة ، وللأيدى والأظافر الناشفة الشثنة ، وإذا لم تفقد تلك الغايات التى اختار التشبه بها بأنفسها وما تملك إلا ذلك الرجل الأغبر القوى أو ذلك الفتى الأنى العصى ، لا ذلك المؤنث الناعم الطرى

وإنه لمن يتردد القانون وخطل الرأى ان يوضع الدخان أمام أمة
فقيرة كالأم الإسلامية أو الأمة العربية غالبها فقراء فيحرقوا تلك
الدرام المعدودة في لفائف ذلك السم المسمى بالدخان . وأن يباح لذلك
العامل البسيط الذى يكسب في نهاره الناصب كله بضعة « قروش »
إن كان ذلك ميسوراً ، ومعه عدد تلك القروش من الأولاد ومن يعول ،
فيحرق ذلك العامل نصف هذا المبلغ الضئيل فى ورق الدخان ليحرق
به صدره العليل المنخوب . ويل لذلك القانون من عدالة السماء . إن
أولئك القوم الذين لا يرون رأى هذه الدعوة فى شأن الدخان لو
اطلعوا على تلك الأرقام ، أرقام الجنيئات التى تعتصر كل عام من جيوب
المصريين أو السوريين أو العراقيين أو غير هؤلاء ، ثم توضع فى
جيوب شركات الدخان الأجنبية و جيوب باعة الدخان الأجانب ثمناً
لذلك الدخان أو ذلك البلاء الموضوع فى الصدور ، إن هؤلاء لو
اطلعوا على هذه الأرقام بعيون مبصرة ثم علموا أين تذهب هذه
الأموال وماذا يعمل بها أولئك الجامعون لها من أعداء الوطن والدين
والأمة على رغم أنف المجاملة ، وعلموا أثرها البطىء أو العاجل فى هيكل
الأمة الجاهلة وبنائها ، ولماذا كان ذلك وما الدافع إليه وما الفائدة فيه :
أقول لو أن هؤلاء الذين لا يوافقون هذه الدعوة على رأيها فى شأن
الدخان علموا ذلك لما وسعهم إلا أن يقولوا إن إباحة هذا الدخان لأمة
فقيرة كالأم الإسلامية لمن تجور القانون وجهل القانون
إننا إذا رأينا والداً فقيراً أو غنياً يمنع ابنه الطفل الجاهل ، أو ابنه

الرجل العاقل شرب الدخان ويشتد عليه في ذلك المنع لغرض مالى أو صحى أو أدبى ما وجد عندنا ذلك الوالد سوى الثناء والمدح والشكر . فإذا ما وجدنا الشارع وهو أرحم بنا من والدينا ، أو وجدنا القائم بتنفيذ أحكام الشارع يمنع الدخان ويشتد في منعه لغرض صحى أو مالى أو أدبى لم يكن منا سوى الإذعان والقبول والرضا التام إن تعاطى الدخان بالشكل الموجود اليوم لمن أمر الدلائل على أن جهل الإنسان وسخفه لا يقفان عند غاية . ولو أن إنساناً لم ير الدخان وشاربيه فحدث عنه وعن شاربيه ، وعلم كيف يشربونه وكيف يجودون بالأموال الغزيرة الوفيرة ثمناً له ، لشك ذلك الإنسان في عقول الشاربين وسلامة ألبابهم . وقل في سائر المخدرات والمشروبات الروحية كذلك وأشد .

هذه الدعوة تأبى هذه الأشياء ولا ترضاها لأصحابها وتشتد في إباؤها . وها إيطاليا حرمت على الشعب الإيطالى كثيراً من المباحات والمستطابات لغرض اقتصادى صرف ، لمقاومة تلك العقوبات الاقتصادية النازلة بها . فهل قال أحد من الإيطاليين أو من غيرهم إن ذلك العمل خطأ جديد تقع فيه إيطاليا ؟!

هذه الدعوة تأبى الابتداع في الدين إباءً باتاً لاهوادة فيه ولا رفق ، وتدعو المسلمين إلى الاقتصار على ما جاء عن صاحب الرسالة وعلى ما أجمع عليه المسلمون في صدر الإسلام الأول . لا تميز مطلقاً نوعاً من أنواع المحدثات التى أدخلها الناس في الإسلام ، سواء كان الغرض

من ذلك الإدخال حسناً وبحسن نية، أم كان لهوى وسوء قصد. وهى ترى أن القول بجواز الابتداع فى الدين من أعظم العوامل الهدامة لصرح الإسلام، ومن أفتيح الدسائس التى كاد بها الإسلام خصومه الذين ناوه وه كيداً ودساً بعد أن أعجزهم حرباً. وترى أن القول بجواز الابتداع هو نفسه من الابتداع الشنيع، ومن الفكر السيئة التى وضعها أعداء شرقوا بجماله وبعلوه على الأديان، فنصبوها أشراً كما لتقويضه من القواعد. وهى ترى أيضاً أن الشرع، وهو شرع السماء، يفسد ولا محالة إذا مزج بالآراء الأرضية التى ليس فى استطاعتها أن تخلو من الهوى والدنس والجهل. وترى دين الله أجل من أن يترك عرضةً لمزجه بكل رأى يراه راء قائلًا هذا بدعة حسنة. وترى أن الدين الذى يصنع به هكذا غير جدير بأن يدوم له الاحترام والقداسة فى الصدور، وغير جدير بأن يتقبله المؤمنون بقبول حسن برى، وهم يعلمون أنه مزيج من شرع الله ومن آراء البشر. ثم هم يأبون الخضوع لشرائع لا يبدرون هل هى من شرع الله أم من شرع الناس الذى أضافوه إلى دين الله وحملوه عليه حملاً غير محمود، وهم يعلمون أن الله سبحانه لم يكلف عباده أن يتقبلوا آراء عباد مثلهم ويحلوها فى قلوبهم عقائد وإيمانًا. هذه الدعوة ترى الشريعة الإسلامية غنية بما فيها من المحاسن عن بدع البشر وآرائهم، وترى أنه لم يفسد الأديان الأولى السماوية مثل هذه الفكرة، ففكرة البدعة وجوازها. فلقد عبثت هذه الفكرة فى الأديان عبثًا ظل يتزايد إلى يومنا، وسيظل كذلك

إلى يوم يرث الله الأرض ومن عليها. والعاقل يأبى والله خطاب صديقه إذا ما عرف أن غيره عبث فيه وأدخل عليه ما لم يكن منه وزاد فيه، ويرى ذلك الخطاب غير جدير بأن يعتده خطاب صديقه وينيله من الاحترام والقبول ما يكون لخطاب الأصدقاء. فأنى يقبل المسلم شرعاً قيل له إنه خليط من شرع الله وشرع عباده، وقيل له إن فيه شرائع لم تكن منزلة من السماء ولم يكن يعرفها رسول السماء، وإنما ابتدئها رجال من عند أنفسهم ابتداءً لا يدرى أهوى فعلوا ذلك أم لرأى رأوه.

وها نحن نرى الأحزاب تحافظ المحافظة كلها على مبادئها حتى على المبادئ الظاهرية الشكلية الصورية، وتأبى التهاون فيها والإهمال في شأن صغيرة منها. وترى في المحافظة على تلك المبادئ، ولو صورية، عزها وقيمتها وبقائها. وترى في التفريط فيها، ولو كانت شكلية، ولو كانت في شكل السلام ورفع الأيدي عند السلام، أو كانت في الزى، ترى في ذلك التفريط الهدم للحزب والهدم لأساس الحزب. وها أصحاب «موسليني» وأتباع «هتلر» لا يستطيعون أن يتهاونوا في مبدأ من مبادئهم مهما كان ذلك المبدأ. يشددون كل التشديد في المحافظة على «الفاشية والنازية» ويقاثلون قومهم في سبيل المحافظة على تلك المبادئ، وينفقون الأموال الطائلة لأجل حفظ تلك المبادئ.

وهؤلاء يعمون أنه لا يمكن أن تجتمع هيئة من الهيئات

الانسانية للقيام بأمر من الأمور في الدولة إلا بالرجوع إلى مبادئ
يتفقون على احترامها والدفاع عنها ويرخصون كل شيء في سبيلها،
ويعلمون أنه لا بد من العصبية لأجل حفظ تلك المبادئ التي
اجتمعوا على تقديسها. وبغير مبادئ محترمة على ماذا يجتمعون وعن
أى شيء يدفعون ويدافعون؟! ويعلمون أن التهاون في مبدأ من مبادئ
الحزب هو في الواقع تهاون في المبادئ كلها. فما أخلق المسلمين إذن
بأن يحافظوا على مبادئ الإسلام صغيرها وكبيرها، وما أخلقهم
بالأ يفرطوا في مبدأ من مبادئه صورياً كان أم حقيقياً، وما أخلقهم
أن يشتدوا في المحافظة وألا يقبلوا تغييراً لمبدأ من تلك المبادئ. وإن
قيل في ذلك التغيير إن المراد منه صحيح وإن بقاءه كما هو قليل القيمة
ضئيل الشأن

هذه الدعوة تقول إن المسلم يجب أن يكون مسلماً حقاً، يتقبل
ما يفترضه الإسلام وما يدعو إليه بقوة، ويتجافى جهده عما يحرم
الإسلام وما ياباه. فالمسلم يجب أن يصلي وأن يصوم وأن يحج وأن
يزكي. . . وأن يكون يداً عاملة مع المسلمين في أطراف المسكونة، وأن
يحس ما يحس المسلمون من خير وشر ومن هم وسرور ومن راحة وتعب،
ويشعر بما يشعر به المسلمون، فيألم إذا ألموا ويسر إذا سرروا ويشور إذا
ثاروا. المسلم يجب أن يهجر المحرمات كالخمر والمخدرات والملاهي المضعفة
للرجولة، المضيعة للأخلاق الفاضلة. والمسلم يجب أن يكون غيوراً على
الإسلام أكثر من غيرته لنفسه وقومه ووطنه. والمسلم يجب أن يدعو

إلى الإسلام بشدة ويجاهد في سبيله ويتحمل الأذى من جرائه. والمسلم يجب أن يحرص على الإسلام أكثر من حرصه على حزبه ومن يقدر من زعمائه، وأن يعنى بالدفاع عنه كما يعنى الناس بالدفاع عن أوطانهم وحرمتهم

هذه الدعوة تقول يجب أن يكون للمسلمين قومية قوية. ولا قومية أفضل وأقوى من الإسلام. فيجب أن يجتمع المسلمون على الإسلام كقومية شاملة عامة أقطار المسلمين في الشرق والغرب. وتقول إن المسلم الذى يفقد هذه الأمور العليا السامية أو جملها ليس من المسلمين، ولا من الإسلام فى شيء، وما هو إلا سبة فى جبين الإسلام والمسلمين، وعضو مشلول فى بدن الإسلام يؤذيه محمله وألمه وينتقل منه الداء إلى سائر البدن، فلا يلبث أن يعم المرض البدن كله، ولا يلبث أن يصبح مشلولاً مشوهاً.

هذه الدعوة تقول يجب أن يبعد الإسلام ونصوصه عن تلك التأويلات الباردة السخيفة الموروثة عن صوفية الفرس وبوذية الهند، كتأويلات الصوفية الأئمة وأهل الطرق الحائدين عن سبيل الأولين، أولئك الذين مثلوا بالإسلام أشنع التمثيل فى قرون وقرون ولا يزالون إلى يومنا هذا يمثلون به. وترى أن إبعاد تلك التأويلات عن نصوص الإسلام المقدسة ضرورى لحفظ الإسلام ولبقاء جلاله وخلوده قوياً عزيزاً شيقاً مرموقاً بالإعجاب والتقدير.

وترى أن التماذى فى هذه التأويلات والإندفاع وراءها مذهب لقداسة
النصوص من نفوس المؤمنين بها كما حصل . فلا مندوحة إذن عن
الإبقاء على ظواهر النصوص ، ولا بد من الذهاب فى تفسيرها مذهب
الأولين ، مذهب السلف الصالح

هذه الدعوة تقدر علماء الإسلام كافة وتحترمهم كل الاحترام .
لا تقدر فى أحد منهم ولا تجيز ذلك البتة ، غير أنها ترى أنهم غير
معصومين ، وغير أنها لا ترى وجوب الاتباع المطلق لواحد منهم بعينه
تقليداً أعمى . بل هى لا تقدم على كلام الله وكلام رسوله كلاماً ، ولا تخالف
إجماع المسلمين ، وبعد هذا تختار من الأقوال والآراء أذناها إلى الحق
والصواب . هذه الدعوة تحرص على الاستفادة من العلوم كلها ، ومن
الصنائع والمخترعات كلها لا تأبى منها شيئاً ، وهى ترى أنه ليس هنالك
نص صحيح يخالف الواقع أو العلوم الكونية المادية ، بل هى ترى
أن نصوص الإسلام تسير العلوم والمدنيات كلها ، ولكنها تهجر ذلك
اللهو والعبث والمجون المزدرى وإن سماه قوم رقيقاً ومدنية ، وما هو
إلا الداء الويل الحال فى أجسام الأمم الشرقية الضعيفة
هذه الدعوة تقول : المجد لله فى السماء ، والعزة للمسلمين فى
الأرض ، وتقول ما الدين سوى كلام الله وسوى كلام رسوله عليه
الصلاة والسلام .

ما أصاب الدعوة منه ضعف وانتفاص

قلنا إن هذه الحركة لم تنزل تنمو وتتسع بعد وفاة مؤسسها الأولين حتى بلغت مبلغاً تغبط عليه . وفي أول القرن الثالث عشر الهجري بلغت على يد الأمير سعود المعروف بالكبير حفيد محمد سعود الأنف الذكر مبلغاً عظيماً جداً . فقد خفقت راياتها على ربوع نجد كلها وعلى أطراف سوريا والعراق وعمان في الخليج الفارسي ، وفكر صاحبها في اقتحام الشام وغير الشام مما يصاقب جزيرة العرب ، وكان سلطانه الأدبي قد تجاوز الحدود وغمر سائر البلاد الإسلامية ، وأصبحت الدعوة قوة هائلة تهدد أكبر دولة إسلامية ، دولة الخلافة إذ ذاك . نخافها الأتراك كل الخوف وأشفقوا منها أيما إشفاق ، وفكروا جدياً في الخلاص من هذه القوة الفتية الجديدة الواثبة من جزيرة العرب منبت محمد عليه الصلاة والسلام وأبي بكر وعمر ، الذين قلبوا وجه التاريخ والتي أصبحت تهدد سلطان الامبراطورية العثمانية المتداعية القوى . فأخذوا أولاً ينشرون الدعاية السيئة ضدكم في الممالك الإسلامية والتركية ، وأخذوا يذيعون عنهم من غير تخرج ولا رعى للعواقب أنهم وهاييون لا يحبون أهل البيت ولا يحفظون للأولياء حقاً ولا حرمة ، كما أخذوا يصفون دعوتهم هذه بالمذهب الخامس الوهابي استفزازاً لشعور الجمهور ، وجدوا في هذه الدعاية كل الجد واستعملوا في ترويحها من يوسمون بالعلم والتقوى من الشيوخ الرسميين ، واستعمل هؤلاء الشيوخ الكتب

بل والدروس والمنابر للقدح في الوهابيين ورميهم بكبيرات الأمور،
فنجحوا في هذا نجاحاً بقي أثره إلى يومنا هذا، وبقي أثره عالماً بالنفوس
وقد ذهبت الدولة العثمانية صاحبة هذه الدعوة السياسية السيئة. ومن
المؤلم جداً أن يظل كثير من المسلمين متأثرين بتلك الدعاية السيئة التي
كانت لغرض مخصوص في زمن مخصوص

هذا أول ما قاموا به من محاولة القضاء على هذه الحركة الفتية.
وأخذوا ثانياً يستنهضون أمراء العرب والمسلمين ويستحثونهم على
مقاومة هذه الحركة، ثم أخذوا يمدونهم بالرجال والسلاح والمال.
وكان أعظم قوة استعملوها في هذه المحاولة هي إغراء محمد علي باشا الكبير
والى مصر بحربها فصادف هذا الإغراء هوى طموحاً في نفس
محمد علي باشا وعدّها فرصة رابحة يستطيع أن يفيد بها ملكاً جديداً،
ويستطيع بها الاستيلاء على الحرمين الشريفين. فأعد هذا العدد الكثيفة
وأرسل الجيوش تلو الجيوش للحجاز ونجد، وما زال مهتماً في الحرب
ممعناً فيها حتى أتبع له أن يبلغ غرضه، وحتى هزمت الجيوش النجدية
وافتححت العاصمة بعد خسائر فادحة تناولت الطرفين، وأسرفت الجيوش
المصرية بعد الظفر في العدوان حتى لقد أحرقوا بلدة الدرعية العاصمة،
وبالغوا في محاولة إضعاف هذه الدعوة وكتبها. قال الدكتور طه حسين
من مقالة له في هذا الموضوع: « ولولا أن المصريين والأترك اجتماعوا
على حرب هذا المذهب وحاربوه في داره بقوى وأسلحة لا عهد لأهل
نجد بها لكان من المرجو جداً أن يوحد هذا المذهب كلمة العرب في

القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة كما وحد ظهور الإسلام كلمتهم في القرن الأول .

وفي الواقع أن لانهازم الجيوش النجدية أسباباً متعددة . منها ما ذكره الدكتور ، ومنها الخيانات التي قام بها شريف مكة وغيره من الأمراء . ولعل منها أن القيادة النجدية كان يعوزها بعض التنظيم . والمؤرخون النجديون يذكرون أن السبب في ذلك هو فشو المعاصي في البلاد النجدية أثر الترف الناجم عن الانتصارات التي أحرزوها وبعد هذا العمل الذي قام به الأتراك والمصريون ظلت الدولة التركية تسوق الجيوش بعد الجيوش لوطء نجد والقضاء على كل حركة وقوة من شأنها أن تنازع الدولة العثمانية السيادة يوماً ما ، وأخذوا يقوون أمراء ضعافاً بقصد منازعة من يظهر من آل سعود . فبرز في الميدان آل الرشيد والأشراف ، وبرز غيرهم . وهم في هذه الأثناء كلها جادون في بث الدعاية حتى جعلوا القدح في الوهابيين مادة تدرس في مدارسهم

بهذه القوى المتظافرة ضعف سلطان آل سعود وضعفت دعوتهم الدينية واشتد ضعفها واختفت مدة وكاد يطول اختفاؤها ، واشتدت الحال حتى لم يبق في أيدي آل سعود من حكم نجد شيء . واستولى آل الرشيد حلفاء الأتراك على البلاد النجدية ، وأعملوا السيف في آل سعود وكادوا يقضون عليهم . وآل الأمر بالامام عبد الرحمن ان جلا ومعه نجله الامير عبدالعزيز (الملك المعظم الآن) الى الكويت في ضيافة

آل الصباح امراء الكويت . وبهذا تم ابعاد آل سعود عن نجد .
والنجديون يعتبرون آل سعود وزعماءهم واثمهم الدينيين ويعتقدون بطول
تجاربهم انه بغيرهم لا تقوم للدين قيامة في نجد
يبد أن النجديين ، وان فصل بينهم وبين آل سعود، فانهم مازالوا
معهم في الدين والحب والعقيدة . وهم وان خضعوا لغيرهم في الظاهر
فانهم لم يخضعوا الا لهم في الباطن . ولهذا فانهم ، في المدة التي فصلت
بينهم وبينهم ، مازالوا ياملون عودتهم اليهم ومازالوا يصوغون الأناشيد
العذبة المبهجة ، وينشدونها في أيامهم وأيام حكومتهم
وكم كانوا يبكون على أيامهم الغر كلما أراهم المحتل الغريب ألوان
الظلم والعسف ، وكلما أراهم الجنوح عن الدين الحق .

السبل التائر والبطل الذي لم يهزم

قلنا إن الأمر آل بالامام عبد الرحمن أن غادر بلاده قاصداً بلاد
الكويت ومعه نجله الأمير عبد العزيز . وتقول الآن إن الأمير الغلام
عبد العزيز بقى في كنف والده في ضيافة آل الصباح أمراء الكويت
إلى أن بلغ سن الرشد وناهز العشرين من عمره ، ثم بدا له في تلك السن
أن يغامر في حياته ليسترجع ملك أجداده المسلوب المنهوب، وأن ينازل
آل الرشيد حكام نجد الذين تم لهم الاستيلاء عليها بعد آل سعود
نهائياً ، وأصبحوا لا ينازعهم منازع في ذلك القطر المترامي الأطراف
صمم على هذه المغامرة تصميماً لا يستطيع شيء أن يقف في سبيله

إلا أن يكون الموت . وبعد أن فكر في رسم الخطة طويلاً ، وبعد أن استشار والده واستشار أصدقاء العائلة السعودية ومن يظنهم موطناً للإخلاص والولاء ، خرج من الكويت ومعه أربعون رجلاً من العائلة السعودية ومواليها . وفي الطريق انضم إليهم عشرون فأصبحوا ستين ، وهم كل من استطاع جمعهم وثباتهم في وجه الخطر . خرجوا يحملون زادهم المتواضع وأمتعتهم القليلة على الأبل ، ووجهتهم اقتحام نجد ومنازلة القوى الرشيدية . وكانت أنشودتهم المرددة معنى قول الشاعر .

* نحاول ملكاً أو نموت فنعذراً *

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
يا للبطولة ! أربعون رجلاً بأيديهم أضعف السلاح والعدة

يخرجون لافتتاح قطر شاسع فيتم لهم ما أرادوا !! يا للمعجزة . !!

ساروا في سبيلهم ووصلوا الحدود النجدية واقتحموها وهدفهم الأقصى العاصمة وافتتاحها . وبعد أن ساروا وشقوا قلب التوى كما يقول المتنبي وصلوا العاصمة متنكرين . وبعد التفكير والمشاورة كانت خطة الهجوم التي اتفقوا على وضعها والهجوم على مقتضاها أن ينقسموا فرقتين : خمسين رجلاً يكمنون خارج العاصمة ، وعشرة وعلى رأسهم الأمير عبد العزيز يقومون بالهجوم ويفتتحون القصر ويخرجون روح من حاول منازلتهم . وفعلاً افتتح الأمير الشاب قصر العاصمة وقتل نائب حكومة الرشيد ، وتم له الاستيلاء على القصر ونادوا بدخول الأمير السعودي واستيلائه على القصر . ثم تم الاستيلاء على العاصمة سنة ١٣١٩هـ

وقدم الوجهاء والأعيان بالطاعة للأمير وأظهروا السرور والغبطة بما تم .
وحق ما أظهروا وما قالوا ، فإن حب آل سعود قد مازج قلوب النجديين
وخالط اللحوم منهم والعظام . وبعد أن تم تسليم الرياض له ودانت بالطاعة
وثبت مركزه واطمأن إلى ذلك شرع في افتتاح بقية البلاد وفي منازل
القوات الرشيدية المتناثرة في البلاد النجدية ، كما شرع آل الرشيد من
جانبهم في محاولة القضاء عليه وعلى نفوذه الفتي . ولكن الله شاء
لهذا الأمير الشاب أن يكون المنتصر ، وأن يستعيد ملك أجداده
وأن تقع البلاد النجدية الواحدة بعد الواحدة في قبضته حتى تم له تكوين
هذا الملك الواسع وهذه المملكة التي يعاق المسلمون عليها الآمال .

تلاحقت الحوادث مسرعة في مصلحة الأمير وفي مصلحة
الاسلام والقضية العربية أيضاً . ففي سنة ١٣٣١ هـ . افتتح بلاد الاحساء
أخصب بقعة تقريباً في بلاد العرب ، وأخرج الحامية التركية منها
بمجازفة عجيبية . وفي سنة ١٣٤٠ هـ . فتح حائل عاصمة الرشيديين وقضى على
حكهم نهائياً . وفي سنة ١٣٤٤ تم الاستيلاء على الحجاز وإخراج الهاشميين
وبهذا كون من ممالك وإمارات ذات عدد مملكة واحدة ذات
شأن وسيادة ، أعادت للعرب والاسلام تاريخاً كان يعوزهم من مئات
الأعوام . وبهذا عادت الدعوة الإصلاحية الى سيرتها الاولى ، وعادت
اليها الحياة والقوة والنشاط واهتم الملك بتوسيعها واصلاحها وافراغها
في قالب شديد الجاذبية جدير بالانتشار ، واهتم بنشر العلوم والمعارف
والقضاء على الأمية والجهل الفاشي ، وأمن تلك البلاد التي مأمنت من

مئات الاعوام الاتحت سيوف آل سعود وخدمهم ، وقضى على عناصر
الفوضى والهمجية والقلق ورفع للعرب ذكركم وجعل لهم اسما يرن في
مسمى الدهر ، وطهر الحرمين وغير الحرمين من الدجل والتخريف
ووتر أسباب القلق والهلع ، وأصبحت المملكة العربية السعودية في كل
فم أنشودة وفي كل قلب مسرة وعقيدة

في سيرة هذا البطل وفتوحاته المتلاحقة ما يستوقف النظر
وما يستحق التفكير والمساءلة : هل في الأمر معجزة ؟ وهل مرت
الحوادث على وفق مصلحته ورضاه مرأ طبيعياً ؟ أم إن في الأمر خارقة ؟!
لقد انتصر في جميع حروبه انتصاراً باهراً حاسماً ، لم يهزم في موقعة من
المواقع التي اصطلى بناها ، وقد يكون خصمه أكثر منه عدداً وعدداً
وأحسن موقفاً حريباً ، كما قد يكون ممدداً من الخارج معانداً من
الداخل ، ومع ذلك كله فقد كان النصر خادم الأمير ثم السلطان ثم الملك
عبد العزيز . أفلا يكون في ذلك خارقة سخرها الله لهذا الفاتح العظيم ؟!
أما أنا فإني أرى في الأمر خارقة . وهي تتجمع في أمرين اثنين
خص الله بهما شخص الملك عبد العزيز . وهما الشجاعة المسبوقة بالحزم
والحنكة ، والدين المسير باللين والحكمة . هذان الأمران وما يتفرع
منهما هما الخارقة في هذه الانتصارات ، وهما اللذان مكنا له هذا التمكين
وخدمنا قضيته هذه الخدمة المرضية

وقد كان ينشد بيتي المتنبي :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى المحل الثانى
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان

وانشاده هذا الشعر وإعجابه به يظهر لنا سر انتصاراته وسببها .
وعلماء النفس يقولون إن الشجاعة أم لفضائل كثيرة . فهى يلازمها
الجود والكرم والحياء . والدين تلازمه الرحمة والعدل والانصاف . ومن
جمع هذه الفضائل بلغ من العلياء كل مكان

نبوغ الصحراء

الملك عبد العزيز الذى أسمعنك أول شأنه من الرجال الأفذاذ
الذين ينبغون بين رمال الصحراء وصخورها الفينة بعد الفينة على حين
عقم عن أمثاله وحاجة أكيدة إليه . ورجال الصحراء كالصحراء نفسها .
فهم الرجال الذين يشبهون رمالها المهيلة ، تكفى لتبديدهم الرياح الخفيفة .
ومنهم الذين يمثلون جبالها الرواسى الشوامخ ، لا تستطيع نقلها ولا إقلاقها
عادية من عواديها . . . والملك عبد العزيز هو جبل الصحراء الأشم
المنيع ، تحطمت على صخرته عواديها التى حطمت من كان قبله من الخلفاء
والأمراء والفاطميين . . . فعلى صخرته تحطم الأتراك وآل الرشيد
والأشراف وصاحب صنعاء . وعلى صخرته تحطم بلاء الأعراب
والثائرين المتمردين . وعلى صخرته تحطمت الفوضى والتمرد والخروج

والفرقة والخوف والبنى - هذه الأمور التي لازمت الصحراء منذ
عرفت الإنسان ومنذ سكنها الإنسان
رامته الحوادث ورامه المنافسون حتى أمس الناس به رحماً كل
مرام. ورامه الذين كانوا يحلون منه محل اليمين من اليمين. وقاتله الذين
كانوا يقاتلون في صفه. فكان يخرج من بين هذه العوادي خروج
السبيكة الذهبية من البوتقة المتقدة تزداد صفاء وضياء وقيمة. . وكانت
هذه كلها تجربات ناضجة مقنعة مؤيدة

الناس يعجبون بزعيم ألمانيا « هتلر » وإيطاليا « موسوليني »
ويرون فيهما أنبغ رجال العالم السياسيين في هذا العصر. . ولكن إعجاب
هؤلاء المعجبين بهذين السياسيين الداهيتين يتلاشى إذا ما وقفوا على
نبوغ رجل الصحراء ووقفوا على سره، ووقفوا على ما كان يحيط بنبوغه
من عواد أتى عليها تحطياً

ليس النبوغ هو أن يخرج الرجل في أمة معرفة في الحضارة، آخذة
بكل آفاق التقدم والرقى والعمران والزعامة والعلم، فيقول لها سيرى
إلى الأمام إلى الموت والنار، فتطيعه وتسير إلى ذلك راضية مقدسة له،
ويلقى على مسامعها الخطب النارية الرنانة في الحض على التسليح
والاستعداد للموت وملاقاته العدوان بمثله أو أزيد، فتصنع ما أمرها به
وتزيد. . ليس هذا هو النبوغ في قاموس الألفاظ. ولكن النبوغ
الذي يقف أمامه الناس كافة مشدوهين معجبين هو أن يأتي الرجل
- ولا سيما إذا كان ابن صحراء - إلى الأمة المتأخرة فيقدمها، الموضوع

فيرفعها، المتفرقة فيجمعها، المتحاربة فيلقى بينها السلام والمودة، المتخاذلة فيصيرها متناصرة متعاونة، الجاهلة فيعلمها، الذليلة فيعزها، المحكومة فيعطيها استقلالها ويعطيها السيادة على غيرها أيضاً. يعطيها ذلك كله ثم يظل ينتقل بها من عز إلى عز، ومن شرف إلى شرف أمثل لا يعثر ولا يضل. هذا هو النبوغ الذي إن اختلف الناس على كل نبوغ فإنهم لن يختلفوا في أن ذلك هو النبوغ الأكبر. وهذا هو الذي فعله الملك عبد العزيز لقومه. كانوا ضللاً فهداهم الله به. وكانوا جهالاً فعلمهم الله به. وكانوا متفرقين فجمعهم الله به. وكانوا ضعافاً فقواهم الله به. وكانوا فقراء فأغناهم الله به. وكانوا أذلة مقهورين فأعزهم الله به، ومنحهم استقلالهم وزيادة. وكانوا عدماً خلقهم الله على يديه خلقاً جديداً

من الميسور أن يكون المرء ذا خيال طبع ملي، فيملي على قلبه آية البلاغة في الإطراء والمديح. ولكن من غير الميسور أن يوافق الواقع ما قيل، ومن غير الميسور أيضاً أن تملئ نفس المرء على المرء أفعالاً تفرض على الموافقين والمخالفين احترامها والاعتراف بتفوقها. الملك عبد العزيز شجاع تتضاءل عند شجاعته الأخطار والمخاوف. ولو أن تمت لفظاً يحمل من معاني هذه الكلمة ما لا تحملها هذه الكلمة لوضعناه له. وهل سمعت بأشجع ممن ينزل دولتين بستين رجلاً فيظفر بهما وينيله الله منهما ما يريد، كما فعل الملك عبد العزيز إذ نازل دولة آل الرشيد والأترک في بلاد آبائه في حين لم يكن له فيه من

الشأن والخطر غير أنه شاب مخاطر في حياته التي لا يملك سواها . يقود الجيوش في الحروب بنفسه فيقدمها في وجه الموت والخطر ، ويتولى القتال ومنازلة الرجال بسيفه ورمحه . ولقد عرض نفسه للموت مرات وجرح مرات لذلك . وهو لا يدع قيادة الجيش والمقاتلة في مقدمته إلا حين يعلم أن الأمر ليس في حاجة إلى ذلك . وكل البلاد التي تدين له اليوم بالطاعة والرضا قد فتحها بنفسه ما خلا القليل النزر ، وهو العارف بما يحدثه توليه قيادة الجيش بنفسه من الحفز للمقاتلين على القتال واستماتتهم بالموت ورضاهم بالقتل بين يدي مليكهم وسيدهم . ويخفي هذا المعنى الروحي القيم على زعماء ناشئين يبعثون برجالهم المغلوبين إلى ساحة الخطر والطمع والضرب ويظنون هم بين نساءهم وخدمهم . وما علموا أن هذا من أكبر العوائق لهم عن بلوغهم ما يريدون ونجاحهم فيما يطلبون ، وأنه من أعظم دواعي الفشل والخيبة . . . والجنود التي يتقدمها سادتها إلى الأمام بين الطمع والضرب بالغة ولا بد ما ترجوه وما تتمناه

الملك عبد العزيز كريم إلى حد الإسراف . إلى حد أن أصبح هذا الخلق خلق الكرم ذنباً يؤاخذ عليه ، وإلى حد أن يلام على كثرة العطاء والجود ، وإلى حد أن يقال لا عيب فيه لولا أنه كثير الانفاق والبذل ضحى يوم واحد يقفه المرء في ذلك الميدان الأفيح أمام قصره العامر في عاصمة ملكه الرياض ، فيرى الصادرين والواردين ، ويرى وفود العافين ونجائب المستجدين ، ويرى الأعراب يخرجون من ديوان العطاء وعابهم الأثواب الفضفاضة والعباءات المزركشة المملكية والعقل

و « الكوفيات » الزاهية ، ثم يرى تشعشع تلك الوجوه الصادرة بنور
الرضا والغبطة وحمد المدخل والمخرج ، ثم يسمع إلى كلمات الحمد والثناء
وكلمات البذل والإعطاء - ضحى يوم واحد يقفه المرء أمام ذلك القصر
العامر فيرى هؤلاء الأعراب ويرى غيرهم من الوجوه المختلفة ، واللهجات
المختلفة ، والوفود المختلفة ذوات المطالب المختلفة ، ثم يرى جيوش الراغبين
في عبد العزيز وفي إعطاء عبد العزيز - ضحى يوم واحد يقفه المرء أمام
ذلك القصر المقصود من كل فجع من فجاج المملكة يبيح له أن يحكم بأن
صاحب ذلك القصر هو أكرم الناس على الإطلاق وهو أجود
الأجواد على الإطلاق

تضرب في طول المملكة السعودية وعرضها فلا تسمع من أفواه
ذوى الحاجات ، وأى إنسان ليس من ذوى الحاجات ؟ إلا كلمات :
إذهب إلى طويل العمر عبد العزيز . اقصد الشيوخ « أى الملك
والأمراء » وحي ، بالذهب والفضة والملبوسات وسائر الحاجات .
نحن غداً ذاهبون إلى الرياض إلى قصر طويل العمر . قد جئنا اليوم أو
البارحة أو قبل البارحة من عند الإمام عبد العزيز فأرضانا أرضاه الله
إن الضارب في أنحاء المملكة السعودية لا يسمع من أفواه ذوى
الحاجات غير ذكر الملك عبد العزيز وغير عطائه وجوده

قف ذرور شمس يوم من سائر أيام الله على قمة تلك الربوة الحمراء
المطلة على ذيك الوادى الأخضر الذى تتبطنه الرياض . تلك الربوة
أو الأكمة التى أصارها جود طويل العمر مدرجة الراغبين ، وسبيل

القاصدين ، من أمراء القوم وسوقة القوم ووجوه القوم ودون القوم ،
وانظر ماتدفعه تلك الشعاب النائية والأطراف الشاسعة إلى تلك
الربوة الحمراء ، ثم ماتدفعه تلك الربوة إلى ذيك الوادي الأخضر الذي
تقبطنه الرياض من النجائب الراغبة والوجوه الآملة الطالبة ، وتأمل
خبب تلك النجائب وضيء تلك الوجوه ، لأن المناخ في ساحة طويل
العمر قد آن والحاجة قد قضيت والمعروف قد نيل . ثم انظر ثانيًا
ما يدفعه ذيك الوادي الأخضر إلى تلك الربوة الحمراء ، ثم ماتدفعه تلك
الربوة إلى سائر الشعاب والأطراف النائية من نقود ابن سعود
وأثواب ابن سعود ونبجائب ابن سعود وحبوب ابن سعود وكتب
ابن سعود وعلم ابن سعود وخيرات ابن سعود وحمد ابن سعود
والثناء على ابن سعود ، ثم لا عليك بعد ذلك أن تحلف بأن صاحب
ذلك الوادي الواقع تحت تلك الربوة أجود الناس وأكثر الناس
إفضالاً على الناس ، ثم لا عليك أن تخشى حنث القسم وكذب القسم .
قد عهد الناس أن يجود الكريم بما عنده من المال والحطام ، وبما تملكه
يده من الذهب والفضة والمتاع . ولكن الشئ الذي لم يعهده الناس
أن يجود الجواد بالدولات ، وأن يجود بالبلاد ويضعها في هباته ، فيخرج
منها طائعا راضيا بعد أن ملكها بسيفه وسنانه ، يخرج منها ويهبها
لسائله إجابة لداعى الكرم ونداء الكرم . وقد كنا نسمع قول الشاعر:
إلى الذي تهب الدولات راحتته ولا يمن على آثار موهوب
فنجسبه من خيال الشاعر العابث الشرود ، فإذا بالملك عبد العزيز

يرى الناس ما لم يروا من أنواع الكرم ، وإذابه يصدق خيال الشاعر
الشroud، وإذابه يهب الدولت حقاً ولا يمن على آثار ما وهب . . . أما
بغى عليه جاره وأخوه وصديقه إمام اليمن منذ عامين فأمكن الله له
منه ، وولاه قسماً كبيراً من بلاده وفيه أحسن مفاتيح اليمن البحرية ، فيه
ميناء الحديدية . أعطاه الله ذلك كله ، وكان له حق البقاء الأبدى فيه
وكان قادراً باذن الله على غيره ، وكان النصر يرفرف أمامه ويخدمه أينما
حل . فلما أن دعى إلى الصلح والهدنة باسم الكرم ولسان الضيافة
أجاب . فلما أن قيل له دع ما مملكت وأخرج قواتك منه باسم
الكرم والجود ولسان الضيافة والأضياف قال سمعاً وطاعة . فلما أن قيل
له تحمل المغارم التي تكبدها جيشك من جراء عدوان جارك قال سمعاً
وطاعة . فأخرج قواته ، وتحمل الخسائر التي جرّها عليه غريمه وحده .
فإذا بصوت الشاعر ينبعث بعد ألف عام :

هو الذي تهب الدولت راحته ولا يمن على آثار ما وهب
الملك عبد العزيز خطيب مفوه ، فارس من فرسان الكلام
المتأزين . من أولئك الخطباء الموهوبين الذين أعطى كلامهم النفوذ
المطلق في الباب سامعيه . لاشبهة ولا ضلالة ولا هوى - لاشيء من
ذلك يستطيع أن يحول بين حجته وبين فؤاد سامعه . ما كلم أحداً إلا
أقنعه ولا جادل خصماً إلا فلججه ، وما دخل عليه أحد بقلب إلا وخرج عنه
بقلب آخر ، ولا قابله من يحمل عليه الموجدة والبغض إلا فأرقه يحمل
له الحب والرضا . يذيب السخائم من القلوب ، ثم يضع مكانها المودة

والهوى . يحلى الشبهات من النفوس ثم يضع في مواضعها الحجج
والعقائد . مازال يستل من نفوس مخالفيه الإحن حتى ذهبت
الكلمة النجدية القائلة « الملك عبد العزيز ساحر » . جاءه بعض
الرؤساء بعدعداوة طال أجلها ، فأقام في معرفه أياماً ، فلما حانت ساعة
الوداع وقف ذلك الرئيس وقال بصوت يدل على التبذل والإخلاص
الطريف : سحرتنى يا عبد العزيز ، سحرتنى يا عبد العزيز

يخوض في ميادين الكلام كلها . يخوض في علوم الدين ويناقش
المتخصصين في ذلك ، ويقيم عليهم الحجج ويفرض عليهم قبول برهينه ،
ويدافع عن مذهب السلف دفاعاً لعل العلماء أنفسهم لا يستطيعونه ،
ويشرح ذلك المذهب لمجالسيه شرحاً لعل غيره من أفاض العلماء يقف
دونه . وله في ذلك كل عام مواقف بين كبار الحجاج يرسل فيها من
حر الكلام دفاعاً عن مذهب السلف وعن القضية العربية ما تنشره
صحف العالم خطباً تقذف ناراً ونوراً ، ويقرؤها المسامون وغير المسامين
بين الإعجاب والدهشة والرضوان ، ويحتفظون بها كمثل عليا لكلام
الأمراء ، ذلك الطراز الذى فقدوه من مئات الأعوام مستعيبين
بدله لكثرة الأعجام وكبرياء الأعجام ، ذوى الحجاب والاحتجاب
ما أجمل الملك العظيم بين شعبه يتمتع بالنظر إليهم ويتمتعون
بالنظر إليه ويسمع منهم ويسمعون منه !! وإن أجمل من ذلك أن يكون
بينهم يعظمهم فى الله ويعلمهم الدين وما يرضى رب العالمين
ويخوض فى علوم التاريخ والآداب من نثر وشعر ويباحث

المتخصصين في ذلك ويجيد الخوض والمباحثة، وله ولع خاص بالشعر وأغنى به شعر الحكمة والحماسة، ومن ولعه بذلك كتبت الأبيات الشعرية على جدر قصره. وقد نقشت الأبيات الآتية في جدر القصر:

لسنا وإن أحسابنا كرمتم يوماً على الأحساب نتكل

بني كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

فإما حياة لاتدم حميدة يحدث عنها من أغار وأنجدا

تنال المنى فيها، وإما منية تريح فؤاداً خار من علة الصدا

وقد كلم بعض الأدباء جلالاته في كلمة « ونفعل مثل ما فعلوا » قائلاً:

إن علة الشرقيين أن يفعلوا مثل ما فعل أوائلهم. فأصلحها الملك مبادراً

« ونفعل فوق ما فعلوا »

والملك عبد العزيز يحب كل فنون العلم ويتفانى في حبه

وأما في السياسة فإنني أرى من البلاد أن أقول إنه يجيد السياسة

أو إنه أبو السياسة، الطيب بمدخل النفوس ومخارجها، العليم بأدائها

وعلاها. وسياسته العملية أبلغ في وصفها من قول القائلين في مدحها

الملك عبد العزيز يخوض في ذلك كله فيجيد الخوض فيه. فقد

وهبه الله استعداداً فطرياً صارماً. وما كالأستعداد الفطري هبة.

وما أنفذ الاستعداد الفطري في صفحات الوجود الصامت! ومن لم

تعلمه صفحات الوجود فلن يعامه شيء، ولن يجدى في تثقيفه وتكوينه

مدارس ولا مدرسون

الملك عبد العزيز منذ ثلاثين عاماً قل أن مرت عليه ليلة لم يستمع

فيها إلى درس العلم من تاريخ وأدب وتفسير ودين . وقد رتب له قارئاً
فصيحاً يجيد أداء الألفاظ يقرأ لجلالته كل ليلة في مجلسه العام كتاباً
ضخماً من كتب التاريخ أو التفسير أو الأدب ، مثل تاريخ ابن جرير
وتفسيره ، أو تاريخ ابن كثير وتفسيره ، أو كتاب الآداب الشرعية ،
أو نحو ذلك . فيقرأ له كل ليلة في كتاب أو كتابين من هذه الكتب
في حال وجود الزائرين . فإذا ما دخل داخل أثناء القراءة جلس
بصمت وهدوء حيث انتهى به المجلس . وبعد الفراغ من الدرس يقرأ
السلام على الداخلين ، ثم يفاوض الجالسين في بعض مباحث الكتاب
الذي سمعوه ، ويبدى الملاحظات ، ويطلب إلى الحاضرين إبداء آرائهم
ويهمهم الحرية المطلقة في ذلك . فالملك في هذا الصنيع يعيد عهد خلفاء
صدر الإسلام ، ويبعث حقائق لأسلاف المساميين كان المسلمون من
قبله لا يظفرون بها إلا في بطون الكتب والتواريخ

الملك عبد العزيز وقاف عند حدود الشرع لا يترك فرضاً صغيراً أو
كبيراً ، ولا يأتي معصية من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة . يحافظ على
الصلوات وعلى الصيام وعلى الحج ، ومنذ فتح الحجاز وهو يحج كل عام .
لا يشرب شيئاً من المشروبات المحرمة ، ولا يسمع الأصوات التي
لا يحلها الشرع كالغناء وضرب العود ، ولا يشهد حفلة فيها شيء من الحرام
كالرقص واختلاط الجنسين ، بل ولا يوجد شيء من ذلك في ملكه
إلا أن يكون سرا لا يعلمه غير عامله ، ولا يعلم الغيب إلا الله . ولا يتهاون
لأحد من حاشيته في أن يترك شيئاً من الفرائض ، أو يعمل شيئاً من

المحرمات . وإذا ما حضر وقت الصلاة نهض مسرعاً إليها مجيباً النداء ونهض من معه ولا بد ، وهو يصلي الصلوات جماعة . وله في قصر عاصمته مسجد يصلي فيه الصلوات في أوقاتها . وهو معتدل في ذلك ووسط ، لا يشدد تشديد الغالين المفرطين ، ولا يتهاون تهاون الكسالى المفرطين . لا يقدم على كلام الله وكلام رسوله وكلام صحابته وأئمة الإسلام كلاماً ما . وهو يبدأ إذا ما احتج لمسألة سياسية كانت أو اجتماعية بكلام الله وكلام رسوله وصحابته إذا ما حضره شيء من ذلك ، ثم يحتج بما يحضره من كلام العلماء والشعراء والحكماء والناس . ولا يفعل كما يفعل كثير من زعماء المسلمين اليوم ، ضعاف الإرادة والقومية من تهالكهم على كلام « المسائر ، والمسبوات » ومن إسنادهم كل ما يقولونه بما قاله « الهر فلان . أو السنيور فلان » . أو ائتك الزعماء المفتونون علة الإسلام والشرق . أولئك الذين يعدون حفظ القرآن والحديث والاستشهاد بهما في المحافل مما لا يتفق والمدنية ، ومما لا يجوز للرجل العصري الناهض « الاسبور » . فالملك عبد العزيز يرى الشرف الأكبر أن يحفظ الحجج من كلام الله ورسوله فيدلى بها في المحافل . ولهذا فإنك إذا جلست بحضرة لم تسمع غير : قال الله وقال رسول الله وقال الخلفاء وقال الأئمة وقال الشاعر العربي . فجالسه حفلة من حفلات العلم والأدب . وهو يصلي على الرسول عليه الصلاة والسلام كلما جاء اسمه الشريف . وما أكثر ما يحيى اسمه في مجلسه . ولهذا فإنه يصلي عليه في الجلسة الواحدة مئات المرات . وبعض الناس يظن أنه يقصد بذلك دفع تلك التهمة الشائعة

الكاذبة القائلة : بأن الوهايين أو النجديين يأبون الصلاة على الرسول أو يسيئون إلى من يصلى عليه . والواقع أن الملك لا يقصد بذلك دفع هذه التهمة الكاذبة ، وإن كان حريصاً على دفعها ، وإنما يقصد بصلاته عليه الصلاة عليه والسلام الأجر والثوبة . وهو يرى ترك الصلاة عليه عند ذكر اسمه لا يجوز لأحد من نبيوة جاءت في ذلك . والنجديون كلهم لا يدعون اسم رسول الله عليه الصلاة والسلام يمر من غير أن يصلوا ويسلموا عليه، وكلهم يريد بعمله هذا الجزاء من الله والملك يبدأ كلامه وخطاباته بيسم الله الرحمن الرحيم وبالثناء على الله والحمد لله ، وبالصلاة والسلام على رسوله الكريم ، ولا يصنع ما يصنعه المفتونون بتقليد العرب من البداءة باسم الوطن أو نحوه بدل اسم الله والثناء عليه

والملك عبد العزيز عادل في رضاه وغضبه . في عفوه وعقابه . يغلب عفوه عقابه وحامه غضبه كثيراً . ما جرى من ناحية العفو إلا وجد سلساً قريباً طيماً ولا سيما أخيراً . ولقد تناول عفوه كل أولئك الذين شرفوا بحكمه فناوؤوه من الحجازيين الذين تفرقوا في الأقطار لبث الدعاية السيئة الكاذبة ضده وضد حكومته . فلما أعجزهم السعي والمناوأة وأرادوا الرجوع إلى كنف جلالته قبلهم وعفا عنهم ثم ولاهم الرتب والمراكز . وما عاقب منهم من كان بالعقاب جديراً ، ومن كانت الدول تعاقب على مثل فعله العقاب الصارم . وقد قام الكثيرون من ولاية جلالته بالثورة على حكومته كفيصل الدويش والإدريسى ومن

هو أقرب منهما إليه . فلما وضعهم الله بيده وأظفره بهم لم يجدوا عنده
سوى الصفيح الذي لا عتاب معه . وكثيراً ما تشكروا رعيته إليه عمّاله
إذا ما عاملوهم بالعدل الصارم الذي لا جور فيه ، فلا يلقون لدى جلالته
سوى الغفران الواسع

وينشد كثيراً في ذلك هذين البيتين من الشعر . وقد قيل إنهما
مكتوبان في غرف قصره :

تجاف عن العُتبي فما الذنب واحد

وهب لصروف الدهر ما أنت واجد

إذا خانك الأذنى الذي أنت حربه

فواعجيباً إن سالمك الأبعاد

الملك عبد العزيز يحكم شعبه بأمرين اثنين : بالشجاعة ، وبها يهيب
من يهيب ويخضع من لم يصف قلبه من داء الحسد والتمرد . وبالدين ،
وله يحبه شعبه ويتفانى في حبه ويبدل أرواحه وماله في سبيل رضاه
وتعزيز ملكه ومركزه . ويرتكز على هذين الخلقين سائر أخلاق الملك
السامية التي سمعت بها ، والتي لا بد منها في تثبيت قوائم الملك والدولة
كالكرم والصرامة والحزامة والعمو والحلم . فالنجديون يحبونه وبها بونه
ويطيعونه ويحترمونه ظاهراً وباطناً في المحضر والمغيب . وهو يعتمد
في دفع الخطر عن قومه وبلاده على قومه النجديين ، وهو يعرفهم
بالإخلاص له . وعلى ميزاته الشخصية الموهوبة . ولكنه قبل هذين
الأمرين يعتمد على الله وحده لا شريك له . وبتمسكه بالدين ولجؤته

إلى الله يعلم أن الله لا يخذله أبداً ولا يحرمه نصرته

الملك عبد العزيز معانيه لاتسعهها معاني الألفاظ ولا تعبر عنها
الكلمات . فلن يستطيع أن يفهمه القارىء مما نكتب أو مما يكتب
غيرنا ، فهو سر الصحراء المجهول لا عن خمول وخفاء ، وهو نابغة
الصحراء المفرد وابن الصحراء الأوحد . ولو أن الصحراء لم تنجب
سواه لكفاهها أن تفاحر المدن والأمصار . ولو أن العرب لم ينجبوا إلا
إياه لكفاهم أن يساوا الأمم الحية إن لم يفضلوها . أو لو أن الإسلام لم
يكن له من الأبناء إلا هذا النابغة لكفاه أن يكون من خير الأديان
ولكفاه أن يكون معجزة من معجزاته

أرونا أيها الناس رجلاً نشأ في الصحراء صنع في الأرض . صنع
في التاريخ . صنع في أمته ما صنعه ابن الصحراء « عبد العزيز » . أرونا
رجلاً وحيداً عاش طريداً عن بلاده ومقر آبائه استطاع في حدود العشرين
من عمره أن يخلص قومه وبلاده من برائن دولتين غاصبتين بحد
الحسام . أرونا رجلاً جمع الفضائل كلها في عصر جمع كل رجل من أهله
الرزائل كلها . أرونا رجلاً جمع الدين والشجاعة والإنصاف والكرم
والعدل والصرامة والحزامة إلى جودة الرأي وخصوبة الذكاء والدهاء والعفة
ونقاء الظاهر والباطن . أرونا رجلاً له ذلك كله في الشرق أو في الغرب
وإلا فلنسم الملك عبد العزيز نابغة القرن العشرين . أو رجل القرن
العشرين . ورجل الإنسانية الكامل « وسبرمانها الأول » . ولتسمحو

لنا في هذه التسمية . ولينشد لسان الأدب في البدء والختام ، في اليوم
وفي سائر الايام :

يمزُّ على الأفكار ما هو فاعل فيترك ما يخفى ويؤخذ ما بدا
ولقد عرفت وما عرفت حقيقة واقد جهلت وما جهلت خولا

الافواه والرهبر

كانت البلاد النجدية كسائر البلاد العربية تحوي عنصرين متباينين
في الأخلاق والطباع وطرق السعى للرزق والعيش : أحد العنصرين
الحضر . والعنصر الآخر البدو أو الأعراب في الأفضح . والأعراب
يعيشون عيشة الشظف والبؤس والإجرام في الأكبر . يعيشون من
النهب وسلب أموال الناس قسراً . فالأعرابي اذا ما جاع ذهب يطلب
قوته من النهب لا سبب له غير ذلك ، لأنه ليس له حرث ولا تجارة
أو نحوها . وهم أجهل ما يكون الجاهلون ، لأنهم قصيون عن مهابط
العلم والعلماء . والعلماء لا يرغبون فيهم ولا في عيشهم لبؤسهم وجفائهم .
وهم بعد ذلك قليلو الدين أو فاقدوه ، لأنه ليس لديهم من يعرفهم الدين
ومن يعرفهم حق الله على عبده . وعاداتهم بعد ذلك من أسوأ ما تكون
العادات . وهم لا يؤمنون في حرب ولا في سلم . أما في الحرب فلا
يعنون بغير المغنم ، وهم مع الغالب ولا ريب . وقد ينهبون قائدهم اذا
استطاعوا نهبه وإذا ظنوا أن الدائرة كائنة عليه . وأما في السلم فهم حالة

على السلطان وعلى الأمة . وهم لا يثبتون على ولاء إنما وليهم الدينار
والدرهم ، وهم يعتبرون الحضرة أعداءهم جائز لهم حربهم وقتلهم إذا
استطاعوا ولو كانوا أقرباءهم . ثم هم بعد ذلك كله جرثومة القلاقل التي
تقع على الحدود ، حدود أمتهم وحدود جيرانها . . لهذه الأسباب مجتمعة
فكر جلالة الملك في إنقاذ هؤلاء المساكين وتزهيدهم في البداوة
بصورة جديدة مجدية . فشرع بهمة في تحييب سكنى الحضرة إليهم ،
فأرسل إليهم الوعاظ والدعاة يرغبونهم ويدعونهم إلى ذلك بشتى
الأساليب ، وبعث إليهم الكتب لتثقيفهم ثم أخذ يشجع من يرغب
في سكنى الحضرة بالهبات الجزيلة ويبنى لهم المساجد ويبعث إليهم
الأئمة ومن يعلمونهم القراءة والكتابة . فرغب الأعراب في سكنى
الحضرة رغبة صادقة وأخذ بعضهم يدعو بعضاً إلى ذلك ، فأقبلوا على
اختطاط القرى وبناء المساجد وحفر الآبار . وكان أول قرية أنشئت
لهذا الغرض قرية الأرتاوية عام ١٣٣٠ هـ . ثم تلاحقوا في بناء القرى
فانشئوا ما يزيد على المئة وسموها باسم « الهجر » (جمع هجرة) فأسرع
الملك إلى إمدادهم بالمرشدين كي يعلموهم الدين والأخلاق العالية ويحثوهم
على الزراعة وضرب الأرض طلباً للرزق . وأخذ هو نفسه يحثهم على
هذا العمل المفيد إذا وفدوا عليه الفينة بعد الفينة فأثمر ذلك أطيب الثمر
وأحبوا الدين وتقنوا في حبه وأرخصوا أنفسهم وأموالهم في سبيله .
وتجاوزت بهم التقوى أن غلوا غلواً لم يرضه الملك منهم ولا العلماء .

فجد الملك والعلماء في حملهم على الاعتدال والقصد، فاعتدلوا بعض
الاعتدال ونسوا شيئاً من جفائهم . فأصبحوا عضداً جباراً لجلالة الملك
في مشروعاته التأديبية وأصبحوا من أقوى أنصاره في الحروب لأن
القوم شجعان أى شجعان ، لا يهابون الردى ولا يكفون عنه أبداً . وقد
كانوا في وقت نزاهتهم يتغنون بهذا البيت الشعرى الفائض بحرارة الايمان:
هبت هبوب الجنة وين انت ياباغيا؟

وكان الواحد منهم إذا مارأى قريباً له أو من يعرفه صريعاً في
الميدان أكب عليه وقبله وقال له : « هنيئاً لك الجنة والشهادة ، ياليتنى
كنت مكانك » لأنهم يعتبرون قتالهم دينياً إذ هو دفاع عن قضية
العدل والسلام . وكان الرجل منهم يدخل ميدان الحرب على أنه داخل
ميدان الموت فهو لا يفكر إلا أنه ميت . وكان الكثير منهم يندم
كل الندم ويأسف ويطول أسفه إذا ما أتيج له أن يرجع من ساحة
الحرب سالماً ، لأنه يرى سلامته دليلاً على أنه ما أقدم الاقدام المفروض
ولهذا سلم وهلك غيره ، ولأنه يرى رجوعه سالماً بغير الشهادة في
ميدان الدين والشرف غبناً ما بدمه غبن . وكان شعارهم الذى يستمدون
منه الشجاعة وقت الطعن والضرب والهجوم قولهم أنا أخو من طاع الله
« أطاع الله » نحن صبيان التوحيد أى خدام التوحيد والايان بالله .
وهاك مثالا واحداً من بطولتهم تستطيع به أن تعرف مقدار تأثير
الدين فى أنفسهم .

بعد أن خرجت دول الحلفاء من الحرب الكبرى منتصرة ظافرة

على دول الوسط ، وخرج الملك حسين ملك الحجاز السابق ظافراً منصوراً على الدولة العثمانية التي أعلن عليها الثورة انقياداً لوسوسة الخلفاء ووعودهم التي خدعوه بها كغيره ومنوه أن ينصبوه ملك العرب الأعظم ، وأصبح فعلاً ملك الحجاز وسيد الجميع هنالك ، بعد هذا كله ذهب بالملك حسين خيال العظمة كل مذهب ، وخيل إلى شغفه بالسيادة على العرب أن تلك الوعود السكسونية قد أصبحت حقيقة وأصبح هو ملك العرب ولا منازع . فراح يملئ على أمراء العرب وزعمائهم وأمره كما راح يبعث لتأديب من يعصون أمره . وكان الملك عبدالعزيز (السلطان إذ ذاك) ممن يأبون الخضوع له طبعاً ، فراح الملك حسين يعاقب من يظهرون له الميل والحب . وكانت « الحرمة ، وترية » ، وهما واحتان تقعان شرقي الطائف ، تدينان لسلطان نجد دينياً وأديباً ، فنهض الملك حسين لعقاب أهلها عقاباً صارماً ، عقاباً يذكر به العرب عظمة ملكهم الجديد الأعلى ، ويخلق له الهيبة في قلوب النافرين ، والإعجاب في صدور المحبين ، فجمع القوات التي استطاع جمعها من الذين دربوا في المدرسة الحربية التي أنشأها في الحجاز ، وجيز تلك القوات بأحدث الأسلحة والذخائر التي غنمها من الأتراك ، وكان في هذه القوة أبرع الضباط من عراقيين وسوريين وحجازيين ، وهم الضباط الذين التفوا حوله وحسبوا فيه المنقذ الأكبر . خرجت هذه القوة كاملة العدة والعدد وتقدر بأثنى عشر ألفاً ، وخرج في قيادتها الأمير عبد الله أمير شرق الأردن الآن وغرضها الأول تأديب هاتين الواحيتين وافتتاحهما ، ثم ترمي بعد ذلك إلى

إبراز العظمة الهاشمية وارهاب اخصوم وفي المقدمة سلطان نجد .
وكان هذا العمل كالمقدمة للغزو العام
وصل الجيش الهاشمي تربة والخرمة واستولى عليهما بلا مقاومة
تذكر من أهلها ، فسمع الإخوان بهذا العدوان الجري الذي لا وجه له
عندهم سوى بغض الشريف لأهل نجد ودعوتهم السلفية ، وترامت
إليهم الأخبار بما يأتيه الجيش الهاشمي مما لا يرضاه الدين ولا العدل
ولا الإخوان الشجعان الذين لا تلين قناتهم لغامز ، ولا يحابون في الله
ودينه أحداً ، فهاج هاجهم وتدمروا وتحمسوا كل الحماسة ، وجاءتهم
الاستغاثة من أهل الواحيتين فنقد صبرهم وكادت النفوس تنفجر منهم
غيظاً ، فصمم بضع مئات منهم على أن يغيثوا إخوانهم المظلومين ، وأن
يقدموا على عمل حربي يخرجون منه إما بالنصر الحاسم وإما بالشهادة
وما أغلاها عندهم . ولا ريب أنهم عند تفكيرهم في هذه المحاولة لم
يفكروا في ضعفهم وقوة خصومهم ولا في العدد والعدد المزود بهما
الجيش الغازي المعتدى . وإنما فكروا في شيء واحد وهو : هذا
عدوان لا بد من منازلته والقضاء عليه ، وهذا الله في سمائه لن يخذل
أبداً من دفع عن دينه وعدله في أرضه ، ولن يتخلى عن قوم ظلموا
لأنهم قالوا ربنا الله فثأروا لأنفسهم : فما هو إلا هذه الأفكار العلوية
الساوية والهمسات النفسية المتزاحمة وامتلاء أنفسهم من الإيمان
بنصر الله : ما هو إلا هذه وإلا أن هجمت مئات من الإخوان مهلين
مكبرين يحملون أقدم السلاح ، السيوف المثامة المقللة من قراع

الأبطال، والبنادق المصنوعة قبل بحار العلوم والصناعات . وما هو إلا أن
اشتبكت هذه المئات بذلك الجيش المدرب المزود بأحدث الاسلحة
تلا هذا الاشتباك صمت رهيب ، وفزع غشى النفوس فالاميت
منها ميت ولا الحى حى ، ورعب وضع رقبة المقتول تحت سيف
القاتل ، وذهول قتل المرء بيد أخيه . سويعات رهيبية خطبت فيها
السيوف الخرساء ، ورقص فيها الموت رقصته المشؤومة وشرب وأكل
من النفوس والدماء حتى شبع وبشم . سويعات عدت فى الأرض من
ساعات الموت وفى السماء من ساعات غضب الحق على الباطل ، وثورة
الحرية على الاستعباد والاعتصاب والاستبداد . سويعات انتهت بهذه
الكلمات التى نزلت من السماء فلات ما بينها وبين الأرض : كن أيها
الجيش المعتدى فى الهالكين الغابرين . الإخوان قوة هائلة . الإيمان
الصحيح القوى لا تغلبه قوة ولا يهزم أبداً . الدولة الهاشمية الحجازية
صائرة إلى الفناء العاجل على أيدي صبيان التوحيد . الحكومة السعودية
منيعه لا يرام حماها

انتهت تلك السويعات بهذه الكلمات التى نزلت من السماء ومن
شفار السيوف فانطبعت على صفحات التواريخ والوجود ووصفأح السيوف .
ففى ذلك الجيش الهاشمى ونجمته الأمير القائد مع قليلين برأس طمرة ولجام ،
واستولى الإخوان المئات منهم على كل ما هنالك من السلاح والمال وسميت
هذه الواقعة فى التاريخ الحديث بموقعة « تربة الفاصلة » فقد فصلت
فصلا حاسما بين الحكومتين السعودية والهاشمية . وقعت هذه الواقعة

سنة ١٣٢٧ هـ وقد أكسبت الإخوان وسلطان نجد ذكرى تنخلع من هولها أفئدة الأعداء، وقرنت اسم الإخوان بالخطر الأحمر والويل لمن لم يقبل التوحيد والعدل .

كان القوم كما ذكرنا وفوق ما ذكرنا . فهابهم الناس وضح من يصاقبهم خشية منهم ونصروا بالرعب ، فكان عدوهم يهاب ذكر « الإخوان » و« الهجر » ويرى هذه الألفاظ مرادفة لألفاظ الموت الناجز والعذاب الويل والعفاريات المرسله . فكانوا يهزمون الأعداء قبل اللقاء ، وكانوا ، إلا القليل النزر ، يقصدون بحروبهم وشجاعتهم نصره الدين المضاع وازهاق الباطل المنتشر ، وهذا هو سبب شجاعتهم العجيبة وإلا فما كانوا كذلك قبل دخولهم في الدين وتركهم البداوة . فالقوم كانوا قوة هائلة يعوزها بعض الاعتدال والتنظيم .. فقد كان فيهم ، كما ذكرنا ، غلو وكان فيهم قسوة وغلظة . وقد كان جلالة الملك لا يغفل عن حملهم على الاعتدال بالشدة حيناً وباللين أحياناً ، ولا يغفل عن إنارة الطريق في سبلهم . ولولا حكمة جلالته ومثانة سياسته إياهم لكانوا قوة ضائعة بل لكانوا قوة تنحر أنفسهم قبل أن تنحر أعداءهم

ومما يذكره هنا في حسن سياسته إياهم ما روى لنا أنه كان بعضهم يقول إن التيلفون سحر وإن الذي يتكلم فيه شيطان . فأراد الملك أن ينتزع هذه الفكرة الخاطئة من رؤوسهم . فما تظنه قال لهم ؟ أتظنه حملهم على الشدة ؟ كلا . إنه قال لهم : أسألكم هل الشيطان يقرأ القرآن ؟ ! فقالوا : لا . فقال لهم : تعالوا واسمعوا القرآن من هذا الذي تقولون عليه

إنه شيطان . وأمر مخاطبه أن يقرأ . فلما سمعوه عرفوا خطأهم
وفي رأي الخصاص أنه لا بد من الغلو والشدة في تكوين الأمور
الجسيمة ، ولا بد من الشدة لإشادة الملك الناشئ . وأظن أنه لو كانت
وسائل الحرب كما كانت في الزمان الأول لاستطاع الأخوان ، إذا
نظموا ، أن يفتتحو العالم مشرقه ومغربه ، ولما استطاعت قوة بالغة ما بلغت
من العظمة أن تقف في سبيلهم

هذا حديث الاخوان وحديث الهجر . فالاخوان هم الأعراب
الذين عشقوا الدين وسكنوا الحضر . والهجر هي القرى التي اتخذوها
وطناً لهم بدل الخيام المتنقلة . وعندى أن تحضير الأعراب بهذا الشكل
المتقدم من أجل الأعمال الإصلاحية الاجتماعية التي قام بها جلالة الملك
عبد العزيز ، وهو من أبرع الدلائل على حذق جلالاته وبراعة سياسته .
وأحسب أن هذا العمل هو النموذج الأول من نوعه في بلاد العرب .
ولو أن أولئك الخلفاء والأمراء الذين ذاقوا الأمرين من عدوان
الأعراب وتعاستهم شهدوا ما صنع الملك عبد العزيز بهم لمدوا أيديهم
مصالحين ولقالوا مرحى مرحى يا رجل العرب !!

سؤال وجوابه

هنا سؤال يلجج به كثير ، وقد يضعه بعضهم في قالب الاعتراض
والقدح . ذلك أنهم قالوا : المعروف عن هذه الحركة ، من يوم نشأتها إلى
عهدنا الأخير ، أن تحمل مخالفتها على قبول آرائها بالسيف والنار وأن

تكرههم على الدخول تحت رايها وطاعتها . وقد كان أصحابها يقاتلون قومهم ويشبون عليهم النار ويفرون بهم السيف إن لم يدينوا الحكومة أميرهم بالطاعة ولا مامهم الديني بالعقيدة . قالوا : وقد قامت في داخل البلاد النجدية ملاحم دامية لذلك ودخل كثيرون من أهل نجد أنفسهم في هذا المذهب بالاكره ، ولو أنهم تركوا وما يختارون لأنفسهم لما دخلوا كلهم في هذا المذهب . قالوا : وهذا العمل من أرباب هذه الحركة الوهابية دليل ناصع على أنهم يعتبرون من لم يقبل مبادئهم غير مسلم ويعتبرون المسلمين ، إن لم يقبلوا مبادئهم ، غير مسلمين . قالوا : ثم لو افترضنا أن الذين قاتلوهم غير مسلمين فهل يجوز حملهم على قبول الاسلام بالاكره ، والقرآن يقول : (لا إكراه في الدين) ؟ !

هذا اعتراض أو سؤال يلوكه من لم يعرف حقيقة الأمر معرفة تامة . ونحن نقول في جواب هذا السؤال وفي دفع هذا الاعتراض : إننا قد أشرنا في فاتحة الكلام إلى أن النجديين كانوا قبل هذه الحركة في غاية من مجانبة الدين وتعاليم الاسلام الحنيف ، وكانوا كغيرهم في غاية من الفوضى والتوحش . نار الحرب لا تطفأ ما بينهم لأسباب باطلة لا تجيز حرباً ولا نزاعاً . القوى يأكل الضعيف والضعيف يأكل من هو أضعف منه . لا يقبلون غير حكم القوة والعصبية حكماً ولا يلبون غير داعي الجبروت والجاهلية . يتفاخرون بالمقدرة على البطش بالناس ونهبهم عياناً تحت قساطل الجيوش ووميض السيوف . المغلوب لا يجد من ينصفه والغالب الظالم لا يجد من يقول له قف مكانك . لا يدينون

لسلطان واحد ولا يعترفون بالوحدة . لكل قبيلة رئيس ينازع الآخر
السيادة ، بل قد يكون في البيوت المتجاورة في القبيلة الواحدة رؤساء
متشاكسون لا ينظر الواحد منهم إلى الآخر إلا نظرة العدو المتربص
لعدوه . الفضيلة تنحصر عندهم في شيئين : الشجاعة العمياء ، والمراد بها
الجرأة على سفك الدماء البريئة لمجرد شهوة الغلبة والحذق في انتزاع
الأرواح . والكرم الجاهلي ، والمراد به إطعام الناس أموال الناس بل
إطعام الانسان مال نفسه ، أي يأخذونه منه قسراً ليطعموه إياه ضيافة
ليقال كرماء مساميح ، كذلك الكرم والشجاعة الموجودين في الشعر
الجاهلي كشعر حاتم وغيره . لا معنى للفضيلة عندهم غير هذين الأمرين .
يسخرون من الدين والمتدينين ويسخرون من الأذان وغيره من
شعائر الاسلام ، فيقول قائلهم متعجباً مستفهماً : من يتزوج بنت المؤذن؟
فيرد عليه الآخر : يتزوجها مؤذن آخر . عادوا إلى الجاهلية الأولى في
آرائهم وعقائدهم وأفعالهم أو سبقوها كثيراً أو قليلاً .
وقد حدث المؤرخون النجديون المطلعون على حالة العصرين ،
كابن بشر وابن غنم في تاريخيهما أن المرأة كانت إذا ما عنست
« تأخر زواجها » تطوف بالذكر من النخل وتلتزمه ثم تقول منادية
مستغيثة : يا نخل الفحول ، أريد زوجاً قبل الحول . وأنهم كانوا إذا
مرض لهم مريض وعز شفاؤه ذبحوا الذبائح من الضأن والمعيز
والإبل وذكروا أسماء الشياطين واجان عليها ، ولم يذكروا اسم
الله ثم يأخذون أطيب لحوم هذه الذبائح وجيدها ، فيضعونها في ركن

من البيت أو في فلاة من الفلوات القاصية أو الدانية . ويزعمون أن الجن والشياطين يأتون هذه اللحوم فيأكلونها فيرضون عن المريض وأهله فيدفعون المرض عنه أو يدفع الله عنه لأجلهم ، أو لا أدري ماذا يقصدون . . . وحدثوا أيضاً أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة ، لما أن دعا دعوته وقبل منه من قبل وأصبح مسموع الكلمة عند من اتبعوه ووجدوا فيه المرشد، وأراد قطع الأشجار وهدم القباب المشيدة التي يعظمها الجهال ويعملون لديها الأعمال المنكرة ، عز ما أراد على الناس حتى على الذين قبلوا دعوته ، وتوقعوا منه شراً وخافوا العاقبة فلم يجرؤ منهم أحد أن يقدم على ذلك ، وطلبوا إلى الشيخ أن يقطع تلك الأشجار ويهدم تلك القباب بيده إن رضى ذلك ولم يخف منه شراً ، ففعل ذلك الشيخ وقطع وهدم ، فبات الناس ينتظرون أن يقع به شر وبلاء، وطفقوا يتساءلون عما أصابه . وقد كانت عندهم شجيرة يعتقدون فيها عقائد مضحكة ويفعلون لديها أفعالاً منكراً . من ذلك أن المرأة إذا ولدت ولداً ذكراً جاءت تلك الشجيرة وعلقت عليها الخرق . وترى أنها بذلك تدفع عن ولدها الحسد والموت . ولديهم غار يقولون إن رجلاً في سالف الدهر هم أن يعتدى على امرأة لديه فضرعت تلك المرأة المظلومة إلى الله ، فانقلب ذلك الغار لابتلاع الرجل أو لافزاعه . فهم يقدمون لذلك الغار الهدايا من لحوم وخبز زاعمين أن ذلك يعجب الغار ويناله منه شيء . . . وهذه العقائد التي كان أهل نجد يدينونها منذ مائتي عام هي موجودة اليوم في أكثر الأقطار الإسلامية . وما بوابة المتولى ،

والمغاورى ، والجيوشى ، وأمثالها عنا ببعيد . وقد كانوا من الجهة
المالية إباحيين بكل ما تتحمل هذه الكلمة من معنى ، فهم لا يتورعون
عما قدروا على نهبه من مال ، وقد يرون أخذ الأموال بالقسر من شيم
الرجال الشجعان أولى العصبية القوية والماضى القوى الشجاع ، وما كانوا
يدعون من ذلك إلا ما أعجزهم لمناعة صاحبه أو لسبب آخر من
الأسباب . فلما أن تغلبت هذه الدعوة وتغلب سلطانها على البلاد ، ومنعوا
بالقوة والشرع من الاعتداء على الأموال والأشخاص سموا ذلك الزمان
زمان « الكمام » يريدون أن أفواهم كمت أى منعت من أكل
أموال الناس بالاثم والعدوان وأكل الحرام

هكذا كان القوم ، بل كانوا شرا من ذلك . وبعد أن يعرف
المعتزون أو المسائلون هذه الحقائق نسائلهم ونقول : أيجوز ترك
هؤلاء على ما سمعتم ؟ ألا يجوز ، بل ألا يجب ارغامهم على الدخول تحت
علم واحد ، علم من يحمل الناس الفوضويين على التمسك بأداب الشرع
والعدل . وألا يجوز ، بل ألا يجب القضاء على عوامل الفوضى
والاضطراب التى يمثلها هؤلاء ، بحملهم على الدخول تحت راية جماعة تأمر
بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ ! وألا يجب حمل هؤلاء المتفرقين
المتشاكسين على الاجتماع تحت سلطان إمام واحد وزعيم واحد ، ليعز
جانبهم وتطيب حالتهم الداخلية والخارجية ، وتزول أسباب الشقاء والتعاسة
ويستطاع أخذ الجانى المتعسف بالشدة والقمع ، ويستطاع أيضاً بسط
العدل بين الناس لا فرق بين سيد ومسود ؟ !

إن المنطق والعدل والشرع والرحمة بالناس: كل هؤلاء يجيب على
هذه الأسئلة بـ . بلى والله يجب ذلك

إن من قال بجواز ترك أعراب نجد على تلك الحال الغابرة إنما
يقول بلغة الصراحة بجواز نشر أسباب الفرقة والعدوان، وبجواز خروج
الرعا على ولاية الأمر وتركهم وما يهونون لاسرارة لهم ولا راية
تجمعهم . وأى أناس هؤلاء؟ وفي أى بلد من بلاد الله عاش الناس فيها
كذلك؟ وأى قوم يسعدون بهذه الحالة؟ . والعجب أنه لا توجد بلدة
من بلاد الله إلا وتطارد أمثال هؤلاء، وتحملهم على الطاعة والاذعان
لسلطان الجماعة وتسميهم الخوارج والثوار

إن هنالك قتالا في الاسلام، بل في الشرائع كلها الالهية والبشرية
يحوز، لالكفر وخروج من الدين، بل لأسباب أخرى اجتماعية أو
أدبية أو مدنية، كالمحافظة على العقيدة مثلا أو الأمن أو الدولة من أسباب
الضعف والقلق. فالذين يخرجون على الزعامة وعلى القانون الذي رضيته الأمة
أو جمهورها، يقاتلون حفظاً للقانون، والذين يريدون أن ينشؤوا زعامة
جديدة غير الزعامة الراهنة يقاتلون حفظاً للزعامة، التي بها يحفظ القانون،
الذي به يحفظ النظام، الذي به تحفظ الأرواح والأموال، والذين
يقطعون الطرق ويفسدون في الأرض ويعبثون بالنظم يقاتلون إبقاء
على المدنية الهادئة التي لا بد منها للمعيشة الهادئة، التي لا بد منها للسعادة،
والذين يبذون آراء غريبة تحدث القلاقل والاضطراب، والذين يتعرضون
لعقائد الناس وأديانهم فيحدثون القلاقل يقاتلون أو ينعمون بالقوة . .

وإجمالا كل من قام بأعمال من شأنها أن تخلق راحة المدينة الفاضلة ،
وتجر إليها البلاء، وسفك الدماء، يقاتلون حتى يرددعوا ويرجعوا إلى حضيرة
النظام والطمأنينة ، الأمرين اللذين لا بد منهما لبقاء سلطان الأمة مهيباً
هذه حقائق لا ينازع فيها شرعي ولا مدني . ولقد قاتل
أصحاب رسول الله عليه السلام ، على عهد خلافة أبي بكر ، الذين منعوا
الزكاة ، وقال الخليفة رضى الله عنه : والله لو منعوني عقلاً لقاتلتهم على
منعه . وقد سمي أبو بكر والصحابة القوم الذين منعوا الزكاة مرتدين .
وهذا واضح لأن الاسلام ليس هو عبارة عن الصلاة والصيام
فحسب ، بل الاسلام هو دين القوة والنظام والجماعة والسيادة
الرعية . والذين يأبون دفع الزكاة للخليفة أو صاحب الأمر في الأمة
يسعون في الواقع إلى تحطيم الوحدة والجماعة والنظام . والذين يمتنعون
من دفع الزكاة على الامام يمتنعون عليه أيضاً من الجهاد والدفاع عن
الحرم والوطن . وإذا أبت الرعية على الإمام أو الأمير فلا رعية
ولا خليفة ولا زعامة أيضاً . وخليق بأن يكون الذين يأبون دفع الزكاة
مرتدين لأنهم إذا منعوها فقد عصوا الإمام وخرجوا عليه، وإذا خرجوا
عليه فقد خرجوا على الاسلام وقوانينه التي تؤيد الوحدة والجماعة
والنظام . . وقد صح في الحديث النبوي أن الذي يموت وليس مطيعاً
لإمام يموت غير مسلم ويكون مرجعه إلى غضب الله . ومن أدرك سر
هذه المعاني الإسلامية السامية ذات المرأى البعيدة القوية لم يسعه
إلا الاذعان لها والاعتراف ببراعتها وسموها

بعد ما تقدم تعرف أن النجديين قبل الدعوة كانوا على مبادئ فاسدة كل واحد منها يبيح قتالهم واضطرابهم إلى تركها . فهم خارجون على الزعامة وعلى كل قانون ونظام . وهم متحاربون متشاكسون ، وهم أيضاً تاركوا الزكاة والصيام وسائر أركان الإسلام ما خلا القليل . ثم هم بعد هذا جاهلون بالإسلام كل الجهل ، ومن جهلهم وقعوا في الشرك الشنيع وعظموا الأحجار والأشجار والقبور وأصحاب القبور ، وعظموا الكهانة والتدجيل . والقوم الذين يجمعون هذه الأمور خليق بهم أن يكونوا نهب البؤس والذل والشقاء ، وخليق بالعاقل ألا يحرص على الدفاع عن حياتهم التي تكون بالشكل المتقدم . ويارب عيش أخف منه الحمام على أن الأقوام الذين نازلهم أنصار هذه الدعوة كانوا هم البادئين بالعدوان عليها ، المتحدين لها ، المؤيدين عليها ، القادحين فيها . وما كان أصحابها إلا دافعين الشر بمثله . ويعرف هذا من تتبع أطوار الحركة . ومن أراد معرفة ذلك جيداً فلينظر معاملة ملك الحجاز الآن جيرانه وكثرة عطفه وحنانه على المسلمين كافة . وهاهو التقي الورع صاحب السعادة السيد فوزان السابق معتمد حكومة هذه الدعوة في مصر يصلي في كل المساجد المصرية مع شدة احتياطه لدينه

إذا هم لا يرون المسلمين غير مسلمين كما يقول المرجفون ، وإذا هذا الاعتراض أو السؤال لم يكن قائماً على شيء ، ولو ضئيلاً ، من الحق

أنصع صفحة في تاريخ نجد

لاخلاف أن أنصع صفحة في تاريخ نجد تبدأ منذ مائتي عام تقريباً، أي منذ أن دعا الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى دعوته وبايعه الأمير محمد سعود على المؤازرة ونشر الدعوة بين الناس. فمن ذلك الحين أصبح لنجد شأن يذكر وتاريخ يدرس، وأصبحت تقع فيها أفعال يجدر بها التدوين والإشادة. ومن ذلك الحين اتجهت الأبصار مع القلوب تلقاء عاصمة نجد وتلقاء زعامتها وسيادتها، واهتم الناس بذلك وأخذوا يدرسون ويكتبون عنهم. ومن ذلك الحين أخذت السياسة الخارجية تتبدل وتتطور تبعاً لتبدل سياسة نجد وتطورها. ومن ذلك الحين أخذ العالم الخارجي يفتد إلى محل الملك فيها راغباً أو راهباً خائفاً أو راجياً، مستفيداً دنياً أو دينياً. ومن ذلك الحين أصبحت حاكمة نفسها حاكمة غيرها، وقد كانت قبل ذلك لاحاكمة ولا محكومة

أما قبل ذلك التاريخ فقد كانت البلاد النجدية في عزلة تامة عن العالم وكان العالم في عزلة تامة عنها، بل قد كان يجهلها كل الجهل كما كانت تجهله كذلك أيضاً، وما كانت قبل ذلك التاريخ سوى قسم قاحل من بلاد العرب المجذبة. وما كان أهلها سوى أعراب وزراع يجهلون طرق المعيشة الصحيحة كل الجهل، ويجهلون الدين الصحيح كذلك، وما كان العالم يحسب لهم حساباً أو يقيم لهم وزناً

ومن الانصاف للحقيقة والتاريخ والقراء أن نذكر هنا ظاهرة

عجيبة في بادىء النظر ولكن لا عجب فيها عند من عرف السبب جيداً.
هذه الظاهرة هي أن بلاد نجد كلها منذ أن قبلت الاسلام منذ ثلاثة عشر
قرناً إلى عهد هذه الدعوة لم تظفر بعالم واحد من العلماء المنتجين ذوى
الأثر فى العلوم لا الدينية ولا الأدبية ، فلانستطيع أن نعرف مؤلفاً واحداً
فى علم من العلوم ، أو عالماً واحداً فى فن من الفنون أتجيبته هذه البلاد
قبل ظهور هذه الدعوة

وليس معنى هذا أنى أقول على سبيل اليقين بأنه لم يكن فيها عالم
قط من يوم أن قبلت الاسلام إلى عهد الدعوة . كلا . لا أستطيع أن
أدفع هذا الحكيم دفعاً ، ولكن الذى أستطيع أن أقوله هو أننا لم نعرف فيها
عالماً واحداً ، لأنه لم يوجد فيها عالم واحد . وهذا على كل حال برهان
ظاهر يشهد شهادة حق بإجذاب تلك البلاد طوال تلك العهود من
العلم والعلماء . وهذه الظاهرة ولا ريب غريبة فى بادىء النظر وغريب
من بلد فى وسط البلاد العربية مصدر الإسلام ووطنه الراهن ألا يظفر
بعالم واحد يخدم العلم والأدب فى مدى أحد عشر قرناً . ولعلنا لانستطيع
ان نعرف بلداً إسلامياً كبلاد نجد خلا خلوا تماماً من العلماء مدى قرون
طويلة كما خلت بلاد نجد . أترى هذه الظاهرة ناتجة من أمر يرجع
إلى استعداد أهل البلاد الفطرى ؟ كلا ليس الأمر هو هذا ، فإن تلك
البلاد من أخصب البلاد الإسلامية ذكاء وتوقد أذهان . وإذن فما سبب
هذه الظاهرة ؟؟ إن سببها واضح وهو أن البلاد كانت فى مدى تلك
القرون الطويلة تعيش عيشة الاعراب والزراع والرعاة ، وما كان الخلفاء

ولا الأمراء يهبونهم شيئاً من عنايتهم وذلك لجذب بلادهم وفقرها
الطبعي . وهم لم يكن لهم زعيم يجتمعون عليه فيسمو بهم إلى مرافى
العز والعظمة والعمران . فلم يكن للعلم والعلماء نصير ولا طالب أو
راغب ، لأن الرغبة في العلوم والثقافة والطلب لهما لا تكون إلا في بلاد
ذات زعامة وذات غنى . الزعامة تنصر العلم والغنى يسهل على العلماء
الاتاج ويخلق فيهم التنافس . فلما أن أراد الله أن ينقذ هذه البلاد
وأن يظهر سره فيها ورحمته الشاملة من عليها بهذه الدعوة الحارة ، ومن
على الدعوة بذلك الناصر المظفر القوى ، وخدمها بمؤازرة السياسة ،
فازدهرت العلوم ورغب فيها وكثر المؤلفون والمنتجون . فوضع
التاريخ هذه البلاد أخيراً في صف البلاد التي خدمت العلوم والتأليف
والثقافة ، وعرف الناس هذه البلاد بالمؤلفين والعلماء . وعلى هذا
لا نبعد ولا نخطئ ، إذا ما قلنا : إنه لم يمر على هذه البلاد كلها في
تاريخها كله عصر هو أفضل من عصرها الأخير ، أى منذ أن نشأت
فيها هذه الدعوة ، ونصرها السيف

لاشك في هذا كله ثم لاشك في أن أنصح مافى هذه الصفحة
من تاريخها هو عهدنا الحاضر . فقد نظم فيه مليكها صلاحها الخارجية
وحسن شؤونها الداخلية ، وقربها إلى الناس وقرب الناس إليها ، ووضعها
في موضع دولي تحسدها عليه دول كثيرة ، وجعل لها من العلاقات
بالدول العظمى ما لم يكن لها في غابر تاريخها قط ، وما لم يطمع أهلها فيه

البتة ، وجد كل الجد في إسعادها وراحتها وفي تثقيفها وتعليمها .
أوجد فيها المستشفيات والأطباء والمدارس والعلماء ، وجلب إليها من
مخترعات العلم ما لا ينافي الدين والأخلاق الفاضلة ، فأوجد التلفزيون
والتليفون والسيارات وبعض الطائرات بقدر ما تسمح به ثروة البلاد ،
وجد الجد كله في استخراج كنوز الأرض البكر وخيراتها ، فأعطى
شركات التعدين واستنباط البترول الامتيازات وبعث البعث العلمية
إلى مختلف الجهات ، وحسنت حالة البلاد فاعترفت كل الدول العظمى
بها وبسيادتها ، وأوجدت لها المفوضيات في الخارج كما أوجد الخارج
فيها المفوضيات ، وعقدت المعاهدات التجارية الراجعة . إلى غير ذلك
من الإصلاحات والتنظيمات التي هي غاية ما يتمنى المتمنون وغاية
ما يمكن أن يكون ، وحسن مركزها الأدبي ونالت من مودة الصدور
وتعظيمها أفضلها ، وأحلها المسلمون من قلوبهم محل العقيدة ، وعلقوا بها
آمالهم وفهموها وقدروها قدرها ، ونالت من الدعاية الخارجية المتطوعة
ما نفعها وما سوف ينفعها .

كان ذلك كله بفضل جلالة الملك عبد العزيز وفضل سياسته
وما خصه الله به من الجاذبية وشدة التأثير ، إلى ما عنده من صراحة
اعترف بها كل الناس ، وقوة دين شهد بها العلماء عن علم وآمن بها
الجهال عن تقليد . فليذكره المسلمون كلهم بالخير وبالثناء المستجاب

نتائج الحركة في الخارج

أحدثت هذه الحركة، من يوم نشأتها إلى يومنا هذا، في الخارج أحسن النتائج. فقد اجتهدت في إخراج المؤلفات القيمة وطبعها ولا سيما في عهد الملك عبد العزيز، ومن هذه الكتب كتب الامامين البارعين ابن تيمية وابن القيم وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة، وأوصلت هذه الكتب إلى أيدي الناس وفرق الكثير منها مجاناً، فقرأها الناس فاتفعوا بها وحركت عندهم فكرة طيبة وأفهمتهم من أسرار الدين ما كانوا يجهلون، وكرهت إليهم الأوهام السخيفة وخدمت الآراء السلفية أفضل خدمة

وفما أعتقد أن ما يشاهد من تطور طيب واستنارة ظاهرة في عقائد المساميين اليوم وفي آرائهم هو ناشئ، عن هذه الحركة وعن مؤلفاتها الطيبة التي تنشرها الجين بعد الجين، ومن العجب أنها نفعت أعداءها أنفسهم، فالذي يكتب في الرد عليها يكتب ما يكتب وهو متأثر كل التأثر بالدعوة ومدخله من أفكارها مالا يستطيع جحده. وهذا أعجب ما في الحق، راده متأثر به أو مقتنع به في الباطن

أجل. نفعت هذه الدعوة نفعاً بارزاً، وأحدثت في الخارج نتائج ذات قيمة وذات معنى جليل. فقد كان المسلمون في كل مكان كالنجديين قبل الدعوة يرون في الدين والعقائد آراء في منتهى الفظاعة والظرافة. تفننوا تفنناً غريباً في إحداث البدع المضحكة التي لا يزال صداها يرن

في جواء العالم الإسلامي، والتي كان لها التأثير الأسوأ في إضعاف العقلية الإسلامية ووضعها في موضع وضع جداً بين عقول العالم الحديث، والتي لا يزال يعير بها الإسلام وأهله ويقال في الإسلام من أجلها الأقوال التي لا تليق بقداسته. ويكفي هنا أن تعلم أنه كان يرمى بالإلحاد والزندقة والخروج على الإسلام ومن الإسلام من قال، ولو مجمماً، ولو بشيء من الحذر والإخفاء: إن الأموات لا ينفعون ولا يضررون، وإنهم لا يجيبون دعوة من دعاهم وإن الله وحده هو المرغوب إليه بحق والمدعو بحق. أو من قال: إنه ليس على المسلم أن يتقبل في عقيدته ودينه كل قول ورأي يكتب في «الحواشي» و «التقارير» و «الشروح».. وإن المسلم الذي يحاول فهم القرآن وفهم سنة رسول الله كان يرمى بسوء العقيدة والضعفينة على الإسلام وعلماء الإسلام لقد كانت العقلية الإسلامية قبل هذه الدعوة عقلية عجيبة حقاً، ضيقة حقاً، وكانت عقيدة جمهور المسلمين قبل الدعوة عقيدة مركبة من أخلاط العقائد والخرافات تركيباً يبعد على العقل السليم الناضج تصوره، ويعسر على الخيال الفنان البارع في صنع العقائد الطريقة أن يركبه. كانت القبور تخرج من كل فج، وكانت تذرف فوق ترابها الدموع السخينة وتراق على جوانبها دماء الهدايا والنذور من الأنعام وغير الأنعام، وكانت تنتثر حولها الشكاوى الفازعة من أعماق القلوب الموحمة، وكان المشايخ مشايخ الطرق يعبدون في الأرض دون الله، وكان المسمون بالعلماء والأتقياء يسيطرون على

عقائد الجماهير سيطرة الغرام على عواطف المحبين، وكان من صنع منه الفقر أو الضلال أو انحراف المزاج أو «الهستيريا» مجذوباً يمشى في السبل عارياً حافياً يسيل لعابه على صدره الأشعر المقنع بالأقذار والأدواء: كان مثل هذا المخلوق يتخذ منه ولي من أولياء الله المقربين الذين يعلمون الغيب ويصرفون الكون ويملكون الموت والحياة أحياناً فيحيون ويميتون، فكان يلثم اليدين وترجى منه البركات وتطلب الدعوات وتذال بين يديه العبرات، وكانت الأعمال الإسلامية الظاهرية مضيعة ضياعاً يشبه الترك. ذهبت الحماسة الدينية من النفوس، وفقدت الغيرة على الدين، وعز الغاضب للفضيلة والمخلق والأدب، فانتهكت المحرمات وأعلن الفسوق وركض فيه الصغير والكبير جهاراً بلا حذر ولا حيطة، وذهب ذلك الذي يقول للفاسق اتق الله وللجائر اعدل.. وذهب من يحمل على الطاغى الباغى سيفاً أو عصاً أو يداً مبسوطة فيها لهب من حرارة الإيمان وصرامة المؤمن. فاستبد الأقوياء بالضعفاء وملك الأغنياء الفقراء، واقترس الذئب الحمل. وكان غريباً حقاً ذلك الذي يفزع إلى العدالة والانصاف إذا ما مامسه الظلم والجور، وأغرب منه ذلك الذي يحاول أن يرد ظالمًا عن ظلمه وجاهلاً عن جهله كان هذا بعض شأن المسلمين قبل هذه الدعوة المباركة فتخاذلت منهم القوى الروحية والمعنوية والمادية أيضاً، وأضر كل إنسان منهم الحقد والضعفنة لأخيه. فشعرت بذلك المسيحية والمسيحيون وشعر به الغرب، فهاجمت النصرانية الإسلام في داره، وزحف الغرب

على الشرى للغزو والانتقام ، فكان ما كان مما يرسف فى أثقاله وأنكاله
إلى اليوم المسامون والإسلام ، وجر ماجر على الشرق من الويل
والتخريب والاستعباد

كان هذا بعض ما كان . فلما أن نشأت هذه الدعوة فى تلك
الشخصية القوية المؤثرة ، ونصرها ذلك الحسام المظفر المخضب بالدماء
القدرة ، وضعت أمام المسلمين عموماً والعرب خصوصاً مثلاً بارعة
شائقة من الثورة على الظلم والظالمين ، ومن الغضب للحق الذى لا يعرف
إلا الله والذى هز العروش فتطايرت شرفاتها ، ومثلاً من الشجاعة التى
تعلم أن الدائرات تدور واتى عدلت ذا الخلد المصعر . ووضعت لهم أيضاً
مثلاً بارعة فى الغيرة على الدين والحماسة له والاندفاع وراء الفضيلة
والأدب ، ومثلاً من التواضع والعدل والمساواة والديمقراطية التى ظهر
بها زعماء الدعوة وأمرؤها ، ومثلاً من تطهير الدين من الدجل والتخريف ،
ومثلاً من الدين القوى الحار . فأيقظت فى المسلمين العقول الناعسة ونهبت
منهم الهمم ، وعرفتهم أن هنالك ديناً لله أضيع وهجر ، وأن هنالك نفوساً
حية قتلها الظلم والعدوان ، وأن ثمت شيئاً اسمه العدالة ، وأن للحاكم
حداً لا بد أن يقف عنده لا يتجاوزوه وإلا فالحسام فى يد المؤمن ، وعرفتهم
أن الناس أمام الله سواء لا فرق بينهم إلا بالميزات الشخصية المباحة
لكل أحد ، وأن الله وحده هو المعبود المرهوب المرغوب إليه : عرفت
الناس هذه الحقائق السماوية العليا وفتتهم إليها بقوة وروعة فظهرت
هى فى العالم ظهوراً لا يستطيع إخفاؤه شىء ، فأكبرها الناس وغلا

كثير منهم في تقديرها ، حتى لقد ادعى بعض العلماء الفرنسيين
المستشرقين أن صاحب هذه الدعوة كان نبياً . وذلك لأن هؤلاء
الغالطين يرون النبي هو ذو الأثر البارز في الإصلاح والتهديب وحمل
الناس على الدين والاستقامة . وما كان صاحب هذه الدعوة سوى عالم
مصلح من علماء المساميين المصلحين ، وما كان إلا حسنة من حسنات
محمد عليه الصلاة والسلام . وقد جاء في حديث نبوي أنه قال عليه السلام
« علماء أمتي كأنبيا بني اسرائيل » والمراد أنهم يحدثون من الإصلاح
الفعلي مثل ما يحدثه الأنبياء السالفون

إذن لا نكذب إذا ما قلنا إن هذه الدعوة هي أول من وضع الحجر
الأول في أساس النهضة الإسلامية العربية الحديثة ، وهي أول من لفت
المساميين إلى الدين الصحيح وإلى احترام العقول والاستعانة بها في فهم
دين الله ، وهي أول نثار على الظلم والظالمين ، وهي أول من عرف الناس
كتب السلف وحبها إليهم . ولقد كان الناس قبل ذلك يعاقبون
ويكفرون من يقرؤون كتب السلف ، وكانت كتب ابن تيمية وابن القيم
السوريين ممنوعة التداول ، وكانت كتبهما شراً عند الناس من كتب
الاشتراكية المسرفة . وابن تيمية وابن القيم لو ادعى مدع بأنه لم يأت
في القرون الوسطى كلها من يشبههما في الذكاء ، وغزارة العلم والصلاح
والغيرة على الدين والفضيلة ، لما وجد من يقول له إنك ظلمت الحقيقة
واقتريت الكذب ، إلا أن يكون ذا ضغن على الرجلين أو جهل بهما .
والمضطغن والجاهل يقيسان الأشياء بمقاسهما لا بمقاس الأشياء هي

ويقدران للرجال شخصية من ذاتهما هما لا من ذات الرجال هم
وما كان يعلم أولئك الذين حاربوا صاحب الدعوة الأول وناصرها
أنهما حينما بايع الثاني الأول على النصر إنما تبايعا على وضع أساس
النهضة الدينية الكبرى، التي قدر لكثير من العرب والمسلمين أن
ينضوا تحت لوائها والتي سوف ينضوى تحت لوائها كل العرب
والمسلمين في القريب الآزف إن شاء الله . . . ومن ذا كان يظن أن
الدولة العثمانية التي كشفت عن ساقها في حرب هذه الدعوة سوف
تفنى، وأن هذه الدعوة سوف يقدر لها الخلود والبقاء، وسوف تظل
تزايد وتنتشر سياسياً ودينياً حتى يتجه العالم الإسلامي إليها أكثر من
اتجاهه إلى الدولة العثمانية مستقر الخلافة إذ ذاك، وأنها سوف تنازلها
الخطوب والشدائد والعواصف الهوجاء أزماناً طويلة فتخرج من بينها
مظفرة عزيزة الجانب . إني أقول، وأعوذ بالله من التعصب والهوى :
إنه لولا نشأة هذه الدعوة السلفية والنهضة النجدية منذ قرنين في قلب
جزيرة العرب لظلت الدعوة الإسلامية الصحيحة مجهولة غير معروفة،
وإنها لو عرفت وأتيح لأفذاذ من الرجال معرفتها لما قدر لها كل هذا
الانتشار والقبول الذي نراه اليوم ماثلاً في كل موضع
قد يحسب فريق من الناس أن هذه الفكرة الإسلامية السلفية
المشهودة اليوم إنما منشؤها النهضة الأوروبية الحديثة التي رجت
الأفكار والعقائد رجاً عنيفاً، أو قد تكون هي العامل الأول في
نشأتها . وهؤلاء ولا ريب غاطون كل الغلط مخطؤون الحقيقة كل

الخطأ . . ولو أنه لم يكن سوى النهضة الأوروبية الحديثة لسكان الناس أوروبيين مندفعين وراء نهضة أوروبا لا يعرفون غيرها ، أو مسلمين على الطريقة الأولى المخرفة المبتدعة ، ولما كانت الدعوة السلفية هي الحلقة المفقودة ، ولما استطاع أن يعرفها لا المندفعون وراء نهضة أوروبا ولا المسلمون على الطريقة المخرفة . وعندى أن هذه الدعوة هي المهرب لذوى الفكر السليمة النافرة من حمى الخرافات الصالب وأنها هي البرزخ بين الكفر والتخريف . وهكذا الإيمان يكون وسطاً أبداً

المأمول

والمأمول أن هذه الدعوة سوف يزداد ذبوعها وانتشارها ، وسوف تخطو إلى الإمام سياسياً ودينياً خطوات سريعة أما الدين فنرى أن المسلمين صائرون عن قريب أو بعيد إليها قابلون لها ولا نرى أن المسلمين سيظلون متمسكين بالخزعبلات الأثيمة الهوجاء ، ولن يظلوا البتة يدعون الأموات ويرون دعاءهم ديناً يثاب عليه ولن يظلوا يابون الرجوع إلى الله وإلى كتابه وإلى سنة رسوله كان يحول بين الناس وبين هذه الدعوة أهواء السياسة ولؤم السياسة . وكان يبعدهم عنها جهلهم بها وبعدها هي عنهم . أما اليوم فقد اقتربت إليهم واقربوا هم إليها ، وعرفوها معرفة علم وبرهان ، أو أوشكوا أن يعرفوها معرفة علم وبرهان . والسياسة اليوم لا تستطيع أن تحول بينها وبين الناس ولا تستطيع أن تخفيها وأن تلصق بها من التهم والأكاذيب

ما كانت تفعله يوم أن نشأت . فالأسباب اليوم غير الأسباب ، والغايات غير الغايات . ونحمد الله أن الناس ، حتى السذج منهم ، صاروا يهتمون السياسة فيما تقول ، وصاروا لا يعرفون السياسة إلا أنها الفاجرة التي لا تؤمن والكافرة التي لا تؤمن والكاذبة التي لا تصدق ، وعرفوا أنها هي العدو الأكبر للحق ، وأن لها الأثر الذي لا ينكر في طمس الحقائق ونشر ضدها ، وصاروا لا يذهبون إلا إلى الجانب الذي تجانبه . فالدعوة الآن لا ينقصها سوى تعريفها للناس ، وبعد هذا يكتب لها الرواج والقبول الواسع في الأرض .

وأما سياسياً فخيال الأمر تنبيء أن مصايرها إلى الزيادة المطردة والتقدم الباهر والعناصر التي لا بد منها لسيادة الأمة ولأخذها بأطراف المجد نجراً أن تقول إنها قد اجتمعت لهذه الدولة اجتماعاً لا نقول إنه بشكل يدركه كل أحد ، وإنما تقول إنها اجتمعت اجتماعاً يرجي جداً أن يظل يتزايد وينمو حتى يصير بشكل يدركه كل أحد ويتفاهل له كل أحد بالبقاء والانساع المكفول . والأمة إذا ارتقت زعامتها وسلمت من الضعف ارتقت هي ولا بد . وزعامته هذه الدولة في غاية الرقي والنضوج . والأمة إذا ما كانت قوية الروحية والمعنوية سليمتها احتاجت فقط إلى ربان ماهر تضع في يديه دفة السفينة فيمخر بها عباب الصعوبات والأخطار إلى ما نشاء ويشاء من العلو والعظمة . ودفة السفينة اليوم في يد ربان إن لم يسلم الناس أنه أمهر ربان فإنهم يسلمون أنه من أمهر « الربانين » . والشعب العربي شعب تليد السيادة وافرها

طموح إليها ذكي الفؤاد جيد الفكر سريع إلى اكتساب أسباب
العزة والمجد. بل نستطيع أن نقول إنه كثير التنافس والحسد على
أسباب العلو. والحسد إن ذم في كل شيء فإنه لن يذم هنا، بل هو من
أعظم دواعي الصعود في سماوات المجد. . وما كان يؤخر الشعب
العربي سوى ضعف القيادة وسوى التنافس على السيادة. ثم التفرق
وهذا هو البلاء الأحمر وهو ميكروب الأمة العربية الخبيث وشيطانها
التليذ العنيد الفاجر. ولهذا كان القرآن عز العرب يمتن عليهم كثيراً
في أن أَلَفَ اللهُ بين قلوبهم وجمعهم على عبده ونبيه. ويشتد جداً في
ذم الفرقة ووصف أدوئها. وكان التفرق يقرب بالكفر والخروج من
الاسلام، وذلك لما كان له عند العرب من أخطار وويلات سهلت لأعدائهم
أن ينالوا منهم مالا يستطيعون بمضه لولا الفرقة. وهذه الأسباب
أسباب إضعاف العرب قد زالت وقطع الله دابرها بسيف شرعه وسيف
ملك العرب وحكمته، فلن يتوقع إذن لهم سوى التقدم والسيادة المرموقة
وها هنا ظاهرة في العرب قد لا تكون غريبة، وإن كانت في
غيرهم غريبة حقاً. ذلك أن المستقراً أن العرب لا يسودون إلا بالدين
ولا يكونون دولة قوية ناهضة إلا إذا تمسكوا بالدين، وهذا أمر
مستقراً لا يختلف فيه ولا يكذب. وهذه الظاهرة يستطاع تفسيرها على
ضوء الأبحاث النفسية الاجتماعية ويستطاع بسهولة معرفة سرها.
وأذكر أن «ابن خلدون» ذكر هذه الظاهرة في مقدمته ولا أذكر
ماذا قال في تفسيرها. أما تفسيرها عندي فهو: أن العرب جبلت على

الحرية المطلقة الموسعة جداً، الحرية التي لا تقبل قيداً ولا قانوناً
ولا نظاماً ولا تدعن لشيء من ذلك ، وهذا الخلق راجع إلى طبيعة
بلادهم وعيشتهم البسيطة وقلّة أمواهم وشئونهم في الحياة . فهم لم يعدموا
عن الاذعان للقوانين والقيود ، والدنيا كلها قيود وقوانين ، لا يجتمعون ،
إذ الاجتماع قيد شديد ، ولا يرضون لزعيم زعامة ولا لسيد سيادة
ولا يبنون بحياة الحرية بأوسع معانيها بديلاً . فلا جرم أن يتنازعو السيادة
التي تكفل لهم ذلك الأمر المحبوب لدى أنفسهم الذي جبلوا عليه
وأعنى به الحرية المطلقة المتصرفه في القريب وفي البعيد وفي كل شيء
في الوجود . وإذا ما تجاذبوا حبل السيادة وأبى كل واحد منهم أن
يضعه في يد خصمه أو نده ، فلا جرم أن يقضوا حياتهم القصيرة كلها
في الحروب والنضال ، ولا جرم أن يضعفوا كلهم وأن يشغلوا عن
أسباب النهوض والزعامة ، فلا بد أن يكونوا غير قادرين على دفع
عدوان المعتدى ورجع حملات الغازي الطامع مكسورة مدحورة . بل
لا بد أن يفتحوا له الأبواب وأن يدعوهم ويقدموا له البلاد هدية
وذلك للنكابة بأبناء وطنهم وأبناء أعمامهم الخصوم ، أو استماعة بهم
على الأقربين المنافسين ، فيغزوهم الطامع إن كان فيهم مطمع ويسعى في
إضعافهم وتقليم أظفارهم إن كان يخشى منهم بأساً ويهمهم إهمالاً باتاً ، إن
لم يكن هذا ولا ذلك ، إن لم يكن خوف ولا طمع . فيحوز السيادة من
يحوزها ويجمع أشتات المجد من يجمعها ، وهم سادرون في هذه الحالة
المنكرة الأليمة . فتي يسودون ومتى يكونون أمة ودولة ؟ !

أما إذا قبلوا الإيمان وأشرقت شمسهم في قلوبهم الصخر اوية بساطة
وسداجة، وأذابت منها تلك النعرات الأثيمة، وطهرتها من تلك الأمراض
العنيفة، وعرفتهم أن السيادة ليست ملكا لأحد منهم لا لفلان
ولا لفلان ولا لأحد من أهل الأرض وإنما هي لله رب العالمين ثم
لدينه وللمؤمنين به اجمعين، وأن المؤمنين بدينه تعالى سواسية،
لا فضل لأحد على أحد إلا بقدر صلاحه وطاعته لربه وسمو أخلاقه
على المعايير والنقيصات. وأما إذا علموا أن السيادة الحق لا توجد إلا في
السماء عند رب العالمين ادخرها لمن أطاعه وسمأ إليه بنفسه عن أمراض
الأرض وأهواء الأرض وأدواء أهلها. وأما إذا راضهم الإيمان القوى
فعلمهم النظام وعلمهم الاجتماع وأسباب التعاون والتعاقد والإذعان
لزعم الوحدة والجماعة: أما إذا ما كانوا كذلك فلماذا لا يكونون أمة
منظمة ذات سيادة وسلطان مهيب، وهم كرماء شجعان مقاديم صرخاء
أولو أنوف حمية، وأولو أعنة في الخيرات سهلة، وهم أذكيا فطناء يحذقون
سياسة الدولة وقيادة الجيوش !!؟ إنهم إذا كانوا كذلك فلا بد من سيادتهم
ولا بد من علوهم على المعتدين

والعرب إذا آمنوا بالدين أخلصوا له وقبلوه بقوة فائقة وحرارة
وصرامة. ولهذا أسباب نفسية ظاهرة. هي أن العرب كما قلنا يعشقون
الحرية والعزة عشق هيام، والدين مبناه على الحرية والعزة، فالناس عند
الله سواء فهم أحرار كلهم وهم أعزة، يكف اليد الظالمة من أن تمتد إلى
أحد بسوء أو أذاة، وإلا فالنار وراءها وغضب المؤمنين قبل ذلك. فلماذا

لا يخلصون للدين ولماذا لا يفنون به ويقبلون إليه إقبال العائذ المستغيث!

ولقد وصل بي التفكير إلى هذه النتيجة وهي :

إجمع بين العرب والدين الخالص القوي الملامس للمواطن
والقلوب ، ثم ارم بهم ما أردت فإنك لن تحيب ، وادفع بهم ما رهبت
فإنك لن تندم ، ثم اصعد بهم إلى أسمي ما تراه وما لا تراه من المجد
وخيال المجد فإنك بالغ ذلك لا لا غباً ولا مقصراً

وإلى هذه النتيجة أيضاً :

إن العرب لا يسودون بغير الدين ، ولا يجتمعون إلا على الدين
ولا يخضعون خضوعاً تاماً إلا لسلطان مزج بالدين مزجاً تاماً

لها .. وعليها

الحكومة السعودية تضع يديها اليوم على أوتار قلوب المسلمين
في أنحاء المعمورة ، وتتبوأ من أنفسهم وعقائدهم متبوأاً لا يظفر به غيرها .
ذلك أنها هي التي تضع يديها على المقدسات الإسلامية محط نخر المسلمين
ومطلع شمس دينهم . فتحت يديها تلك البلاد التي بزغ منها نور الإسلام
وسرى في الخافقين مسرى الأثير ، والتي نبغ بين صخورها المنقذ الأكبر
عليه الصلاة والسلام ، والخلفاء الفاتحون الذين يبضوا وجه التاريخ بعد أن
سوده البشر ، وتحت يديها تلك البلاد التي ترعرع فوق حصباتها أولئك
الأبطال الذين وقفوا من تاريخ البشر ومصابير البشر موقف المسيطر
المسيطر حيناً من الدهر ، وتحت يديها قبلة المسلمين كافة ومشاعر حاجهم

ركن الإسلام الأكبر، وتلك البقعة المقدسة التي يفرض على جمهور كبير من سائر المسلمين أن يجتمعوا فيها كل عام متشابهي الزى والمظهر والغاية والحاجة. ثم هي بعد ذلك الدولة الوحيدة التي تحكم القرآن وتحكم بالقرآن في كل ما يتناول الفرد والجماعة، وهي الدولة التي تنفي عن الإسلام البدع والخرافات والجهالات الفاضحة، وترى الناس صوراً صحيحة ريشة من صور الإسلام قبل تلويثه بما نراه اليوم، وأسفاه، بارزاً في أعمال المسلمين بلا استثناء. وهي بعد ما تقدم الدولة العربية الفتية ذات الاستقلال التام المطلق، فلا يوجد لأجنبي فيها سلطة ما، ولا يوجد فيها أجنبي أيضاً، بل لا يوجد إنسان واحد غير مسلم فيها ما خلا القناصل في جدة

فهي إذن الدولة التي تحتل المركز الممتاز بين المسلمين، والتي ينظر إليها المسلمون النظرة الخاصة، والتي لها من الحقوق في أعناق المسلمين ما ليس لغيرها، وعليها من الحقوق للمسلمين ما ليس على سواها لأجل الأمور التي امتازت بها

أما حقوقها هي على المسلمين فهي :

أولاً - يجب أن يتخذوها لهم الأستاذ الروحي الأعلى، والمرشد الديني العام. يضعون بين يديها الزعامة الدينية الكبرى ويسألونها رأيها فيما اختلفوا فيه من أمور دينهم وروحانيتهم ويرجعون إليها فيه. وذلك للاعتبارات الآنفة الذكر التي امتازت بها لوضعها الطبيعي وموضعها الأدبي. وليس معنى هذا أن يقلدوها التقليد المطلق الأعمى

وأن يقتلوا تفكيرهم وعقولهم بين يديها . كلا . لست أعنى هذا ، وهى
نفسها لاترضى هذا الوضع وتراه مخالفاً لروح الإسلام وما أطبق
عليه المسلمون ، فلا كهنوت فى الإسلام . وإنما أعنى أن يسترشدوها
فما اختلفوا فيه وأن يستمعينوا برأيها كما يكون التلميذ مع الأستاذ
والطالب أمام معلمه ، فإن المرجو المفروض فيها أن تكون ذات رأى
الصائب والحكم النزيه ، وذلك لسلامة طبائع أهلها وبعدم عن الفتن
ومظاهر الفوضى والإباحية الدينية التى لاتأمن العثار والزلل . وعلى
هذا المعنى يجب ، أو يستحسن جداً ، أن يبعث المسلمون بطوائف من
أبنائهم الذين يرغبون فى تعليمهم العلوم الدينية والأدبية ، ليتلقوا
مما يمكن تلقيه هناك ، وليكتسبوا حظاً كبيراً من أخلاقهم وعاداتهم
التي هى ولاشك أقرب الأخلاق والعادات إلى الفطرة الصافية
والعادات الإسلامية الأولى ، وذلك لأسباب ذات عدد ليست
خفية . ولا ريب أن فى هذا فوائد كثيرة خاصة وعمامة : فوائد لأولئك
المبعوثين ترجع إلى أنفسهم وإلى أخلاقهم وأوطانهم ، وفوائد للحجاز
وحكومته وللإسلام نفسه . وقد آن الأوان الذى يجب على المسلمين
فيه أن يتعارفوا وأن يهجروا التهاجر ويحتنبوا التجافى

والأمل أن يحدث فى الحجاز نهضة علمية مباركة يستفيد منها
قاصدوه . وقد بدت بوادر النهضة فى الأفق بشكل يؤكد ذلك الأمل
ويصيره أمل عالم لا أمل شاعر . وقد أنشئ فى مكة المكرمة أخيراً
مدرسة دار الحديث . وظنى الخاص بهذه المدرسة أن تكون ذات

أثر سوف يذكر ، وأن تكون ذات نتائج طيبة . فإني أحسب المدرسة قد وضعت على أساس متين قوى يكفل لها الانتشار والبقاء والانتاج . والعوامل التي تعمل حوالها والتي تعمل فيها نفسها عوامل تحمل على لتفاؤل المؤسس على الواقع . . فإن مديرها وصاحب الفكرة في إنشائها طبع على خلقين أنا أول من يحسده عليهما وأول من يعدهما عنوان النجاح في هذه الدنيا . هذان الخلقان هما الصلاح وتقاء الباطن من الخبث والأدواء الأخر التي ابتلى بها الرجال من قديم الزمان . وهذان الخلقان لو عملا في قلب أغلق على الشر لنجحا في عملهما نجاحاً مذكوراً . وداء لرجال الوحيد قديماً وحديثاً هو فقدانهم هذين الخلقين . فإن قلباً يحمل الخبث والحقد لا يرجي منه ولا من حامله خير وإن وهب من الذكاء والثقافة غاية ما يطمح إليه الخيال الطموح . والحقد إذا جاور أخلاق الخير قلبها أخلاق شر وصنعها مصانع شر . فالذكاء والعلم والدهاء : هذه الأمور الثلاثة إذا كانت في قلب خبيث كانت عوناً لهذا القلب الخبيث على الاجرام المثقف الذكي . وشر الاجرام هو الاجرام الذكي المثقف . واجرام واحد ذكي مثقف في استطاعته أن يعمل من الفساد ما لا يستطيع أن يعمله المجرمون كلهم . ولهذا فإني لا أخاف على هذه المدرسة وغيرها من مظاهر الإصلاح والرقى إلا من الاجرام المثقف أو نصف المثقف أو الاجرام الذي يحمل أسنة المثقفين المجرمين . ولو أن الأشياء تؤخذ بنتائجها لكان

القلب المتعلم الذى يحمل الحقد والخبث أولى بالإعدام وبقطع الاطراف من الجاهل المرتكب جريمة القتل والارهاب . . ومن ثم فان أفضل وسيلة تكون لحفظ هذه المدرسة وحفظ نموها هى اتقاء هؤلاء الشياطين الذين يحملون قلوباً تحمل الغيرة والحقد وينطقون بألسنة الأنبياء والملائكة . وعلى الذين يعجبهم نهوض هذه البلاد المقدسة أن يكونوا لهذه المدرسة ولغيرها من أسباب الإصلاح حمى وغنى

ثانياً - يجب أن يعتبر المسلمون هذه الدولة وبلادها وطنهم العام المقدس لا يرضون بأن يصيبها حيف ما أو أذى ما . يقومون في وجهه كل من اراد بها سوءاً كدأبهم لو حصل شئ، مثل ذلك لوطنهم الواقعى ويشورون في وجهه كل من قدح فيها أو قدح في حكومتها إذا كان المراد من القدح التشفى والغرض الشخصى أو أى غرض ما لم يكن حسناً ولم يكن الغرض منه النصيحة والارشاد، ويدفعون عنها أكثر من دفع اليهودى عن بيت المقدس والمسيحى عن كنيسة روما العليا . فاذا ما أصاب هذه الدولة أو الأمة عدوان ما أو ضيق أو أذى بلسان أو قلم أحس كل مسلم أن ذلك العدوان أو الضيق أو الأذى قد أصاب وطنه المقدس وأصاب دينه وأصاب شرف آبائه وقدسهم الموروث فهاج وسعى جهده للدفاع والذيادة . . ومن لم يفعل ذلك فما هو بمسلم حقاً . وليس هو من الذين يغاؤون على قدس الاسلام وعلى شرف الآباء الذاهبين الأولين

ثالثاً - يجب أن يكون كل مسلم رسول دعاية متطوعاً لهذه الدولة

وللاقبال عليها، فيدعو إلى الحج وإلى زيارة تلك الآثار المقدسة والمعالم الطاهرة وإلى التطواف في أرجاء المملكة، ويجب أن يكون الغرض من ذلك إنعاشها وزيادة ثروتها وتحسين حالة أهلها الاقتصادية، ويدعو أولئك الذين يتدققون على مدن أوروبا ويمطرونها بالثروات الطائلة بلا حساب ولا شح إلى زيارة هذه البلاد ذات التاريخ القديم البارع، ويعرف أولئك الكرماء على أوروبا أنه لو كان يباح للأوربيين زيارة مكة والمدينة وسائر الآثار هنالك لتدفقوا إليها من كل فجأح أوروبا، ويعرفهم أنه من الخزي لهم عند قومهم وعند الأوربيين الذين يتقون غضبهم وانتقادهم أن يحج الواحد منهم إلى إحدى المدن الأوروبية عشرات المرات ويهلك فيها ألوف الجنيمات بسخاء وإسراف، ثم يموت قبل أن يرى الحجاز مرة واحدة في عمره الطويل العريض بلاد آبائه وأجداده ومستقر رفاههم، إذ قد يكون أصله راجعاً إلى تلك البلاد من أولئك العرب الذين وزعتهم الفتوح على الآفاق القاصية والدانية. وهذا الأمر من أسوأ الأمور على المسلمين وأعوذها بالفائدة على الحجاز وأهله، به تنفس حالة البلاد ويستفيد الحجازيون من ذلك فوائد أدبية وثقافية، كما يستفيد مثل ذلك الحجاج أنفسهم ثم يرجعون إلى قومهم بتلك الفوائد الطيبة. وأنا زعيم بأن الذين يقصدون الحجاز وغيره من بلاد العرب، تامة الاستقلال والحرية، ممثلة الإسلام الصحيح، ذات الأخلاق العربية المطبوعة على الشم والإباء والسذاجة الحلوة، يجدون من الفوائد الأدبية والنفسية والخلقية ويتمتعون بمناظر الطبيعة الصحراوية ما لا يجده أولئك الذين يقصدون

باريس أو برلين أو غيرها من مدن أوروبا ذوات المناظر الخلابة الكاذبة،
ولن يفوتهم من ذلك غير الاباحية المسرفة
رابعاً - يجب أن يقوم الأغنياء منهم باستثمار أموالهم هنالك
فيؤلفوا الشركات الصناعية والتعدينية والميكانيكية ونحو ذلك ، فيربحوا
هم زيادة أموالهم ويربح أهل البلاد بروج حركتهم الاقتصادية وتعمير
تلك البلاد المقدسة وتصبح قوية مرهوبة ذات جانب مرعى مهيب ،
فإن الأمم بالمال والثروات . والحكومة هنالك تود أن يقوم المسلمون
بتلك المشروعات وهي تمنحهم ولا شك التسهيلات المريحة . ومعلوم أن
أهل البلاد لا يستطيعون القيام بهذه المشروعات لرقة الحال ، فلا مندوحة
عن منح الامتيازات من يقدرون على الاستثمار والعمل . فيجب
على أغنياء المسلمين ألا يدعوا للأجانب فرصة واحدة ينالون بها امتيازاً
واحداً من امتيازات تلك البلاد العذراء . ومن الهوان والخسران
للمسلمين أن يتقدم الأغنياء من أميركا وأوروبا لاستغلال مرافق البلاد
العربية في حين أن أموال المسلمين من العرب وغير العرب مكدسة
في البنوك لا يعرفون ماذا يعملون بها ولا أين يضعونها . وأنا واثق أنه
لو قامت شركة زراعية حديثة وجلبت الآلات الزراعية لاستنباط الماء
ولشق الأرض وزراعتها لربحت ربحاً جزيلاً ، فإن البلاد صالحة للزراعة
لا ينقصها سوى الأيدي العاملة والرؤوس المدبرة العاقلة ، والأرض
غنية بالمياه العذبة التي لا تفيض . والناس في سائر البلاد يعنون بالأرض
التي لا تصلح للزراعة فيصلحونها ويصرفون الأموال الكثيرة

لاصلاحها ثم يزرعونها لا يدعون منها شيئاً . فذنب كبير أن تترك
بلاد العرب مادة الإسلام وداره المنفعة مهملة مهجورة وهي لا تكلف
سوى زرعها وسقيها بماؤها المخزون في أحشائها

وقد جاء في الحديث النبوي الصحيح أنه قال : يأتي زمان تعود
فيه بلاد العرب مروجاً خضراء ، وحدائق غناء . ونحن منتظرون
تحقق ذلك إن شاء الله في عهد هذه الحكومة الناهضة

هذه الأمور هي أقل ما يمكن أن يقوم به المسلمون نحو هذه
الحكومة وبلادها . وهي أمور هينة نافعة نفعاً جزيلاً . ويمكن جمع هذه
الأمور في عبارة واحدة ، هي : يجب على كل مسلم أن يعتبر تلك البلاد
وطنه المقدس . وطن روجه . وطن دينه . وطن آبائه . وطن شرفه التالد
وانظرف ، فيسعى جهده فيما ينفعها وما يرقمها ، ويسعى جهده في دفع
كل ضرر يمكن أن يمسه أو يمسه حكومتها . ومن لا يصنع ذلك فليس
في الواقع من الإسلام في شيء

وأما ما يجب عليها هي فهو :

أولاً : يجب عليها أن تسعى طاقها لتعريف المساميين العقائد
الإسلامية الصحيحة قبل أن يطرأ عليها ما هو معلوم من الخرافات
والبدع ، وذلك بإلقاء الدروس العامة بين وفود الحجاج والزوار كل عام
وبوضع الكتب القيمة في ذلك وكتابة المقالات وتفهم ذلك من
يفدون لطاب العلم في الحرمين من أبناء المساميين . فإن المساميين في حاجة
ملجئة إلى ذلك ، ولا نعلم من هو أحق بالقيام به من هذه الدولة لأسباب :

أولها بعد علمائها ورجالها عن البدع التي حملت على الاسلام حملا غير جميل ، ثم بعدهم عن تلك الأمور التي تقسد الفطرة والطبيعة السليمة وذلك لمركز البلاد وصرامة الحكومة . وفي الحق أن المسلمين في حاجة إلى تعريفهم دينهم قبل أن يعبت به الجهل والهوى . وها نحن نرى الفرق الزائفة من المنتسبين للاسلام كالكفادائية والبهائية لا يفكرون عن الدعاية الواسعة المنظمة إلى مذهبهم الجديد البعيد عن الاسلام . وهام دعاة النصرانية بل ودعاة الإلحاد ينشرون الدعايات المنظمة الواسعة إلى ما ينتحلون . فلماذا لا يكون مثل ذلك أو أحسن منه لبيان الاسلام الصحيح ؟ ولماذا لا تقوم بهذه الدعاية أحرص الحكومات الاسلامية على الاسلام ؟ ولماذا لا تصدر الدعاية من مصدر الاسلام الأول ؟

الدين الصحيح لا بد له من دعاية ولا بد لهذه الدعاية من مركز ،

وليس ما يصلح أن يكون مركزاً لها مثل مصدر الإسلام الأول

ثانياً : يجب عليها أن تسعى قدر ما تستطيع لرفع كل حيف يراد

إنزاله بالمسلمين أو بالإسلام نفسه وتحتج على ذلك بالشدة وتبذل نفوذها

الأدبي في سبيل ذلك ، حتى يشعر العالم أن الاسلام رابطة شاملة فوق

الجنسيات كلها وفوق الحزبيات وفوق الأهواء والأغراض والمصالح

الخاصة ، وحتى يشعر العالم أن المسلمين يد واحدة وجماعة واحدة

لا تفصلها الحواجز والمسافات ، ولا تقطع ما بينها ضربات القضاء الأليم

ثالثاً : يجب عليها أن تبذل طاقتها في إثبات راحة الوافدين عليها

وإسعادهم وتوفير مرافق راحتهم في الإقامة والترحال ، فتجد في إيجاد

المياه الصحية العذبة وفي إيجاد المستشفيات ودور الإسعافات وإيجاد الأطباء وفي المحافظة على أرواح الوافدين وأموالهم وإزالة كل ما يسوق لهم التعب والقلق

رابعاً : عليها أن تستعين بذوى الخبرة والمعرفة من المسلمين في إصلاح البلاد وعمرانها ، وذلك في شؤونها كلها من إدارية وسياسية وأدبية وثقافية ونحو ذلك . ولا تقدم على المسلمين أحداً

هذه هي الأمور التي تجب عليها باعتبار وضعها الواقعي من الاسلام والمسلمين . ومن الحق أن نقول إنها هي لم تقصر في القيام بهذه الحقوق أو بأكثرها ، فقد طبعت الكتب الإصلاحية وفرقتها مجاناً ، وأمرت بإلقاء الدروس في الحرم المكي أيام الحج ، وسهلت السبل أمام من أراد استغلال أمواله في بلادها أعظم تسهيل ، واستعانت بذوى الخبرة والمعرفة من ذوى الأقاليم والادارة والسياسة وفنون الإصلاح على قدر حاجتها . وهي بهذا تحقق الوحدة الاسلامية أفضل تحقيق وتقيم المثل الأعلى الإسلامى القائل : إن الاسلام وطن عام ، بل رحم عامة لكل من يدين الاسلام ويولى وجهه شطر مطلع الإسلام ومطلع نبي الإسلام في صلاته لربه في اليوم مرات . ولا ريب أن نظرة الحكومة العربية إلى المسلمين ، هذه النظرة العاطفة الحكيمة ، سوف تعيد ذلك المعنى الإسلامى الجليل القاضى بأن المسلم للمسلم كالبنيان يمسك بعضه بعضاً ، وأن المسلمين كالجسد الواحد إذا مرض منه عضو ألمت له سائر الأعضاء .

اعتبار

في نشوء هذه الدعوة، ثم صيرورتها دولة، وفي سرعة انتشارها وانتشار سلطانها، وفي اكتساحها كل ماقومها ووقف في سبيلها، وفي صمود رجالها وصبرهم على الضراء والبلاء واعتساف القريب والبعيد في سبيل إتمامها وإعلائها ووضعها في الموضع اللائق بها، ثم في بلوغهم كل ما أملوا وانتصارهم الانتصار الحاسم، ثم في خلود ذكراهم وبقاء صيتهم ينتشر ويتسع وفي رنين أسمائهم في جوانب المعمورة وعلى صفحات التاريخ بلا انقطاع ولا فتور، ثم في اقتداء اللاحقين بهم وتوارد أهل الفضل على النهج منهجهم في الإصلاح، ثم في بقاء ذريتهم في صدر المتزعمين المصلحين وفي جبين الدهر غرة ونوراً: في هذه الأمور كلها عبرة للمعتبرين وذكري للذاكرين. في ذلك كله ما ينادي كل وقت: أيها المتجافون عن الدين! انظروا إلى العرب في بلادهم وانظروا ماذا فعل بهم الدين. حل في قلوبهم فأخرج منها كل شيء سوى الله وسوى الدار الآخرة دار الجزاء الأوفى، ففسل من صدورهم الجبن فدوخوا الظالمين المفسدين، والغل فأصبحوا إخواناً متوادين، والظلم فرجعوا موازين عادلين، والجهل فمادوا فقهاء عالمين، والفرقة فأصبحوا أعزة مرهوبين. أيها المتجافون عن الدين الراغبون في العزة والكرامة! انظروا كيف خنق الدين من الصحراء مدنية، ومن البداوة أمة منظمة، ومن الفرقة جماعة، ومن الخوف أمناً، ومن الذل عزاً. وانظروا كيف أنبت

الدين الحكمة بين الصخور، والتبوغ بين الطلح والغضا، والعدل بين الخيام والآكام. أيها المتجافون عن الدين! إن في الدين قوة لا تغلب: فيه جيش لمن فقد الجيش، وفيه سلطان لمن رام السلطان، وعز لمن أعوزه العز. فيه قوة لا تقاومها المادة ولا سلطانها. ثم ينادى: أيها الجبناء القابلون الضيم والخسف خوف بطش المقادير! انظروا كيف هرب الموت ممن طلبه، وكيف عاش من عاش في جفن الردى عزيزاً مرهوباً. إن الموت العاجل لمن هابه، والحياة الطويلة الرضية لمن زهد فيها، وإن للجبان الذل والهوان ثم الموت والنسيان، وإن للشجاع العزة والعظمة ثم الخلود والخلود في الأرض وفي السماء. إن الخطر كالرجل اللئيم يقع على من خشيه وأكبره، ويفر ممن احتقره وأصغره، وإن العز والحياة كالرجل العزيز الكريم لا يظفر به إلا العزيز الكريم.. أيها الجبناء! لو كنت جباناً لعشت كما عشت ذليلاً ثم مت كما تم غير محمود ولا مفقود، ولو كنت شجعاناً مثلى لعشت كراماً أعزاء مثلى ثم ملكتم الموت تصبونه على من شئتم والحياة تهبونها من شئتم. ولكن آه! لولا الجبن لما كان هنالك

غالب ومغلوب ولا عزيز وذليل، ولما اقترن المدح بالشجاعة
ثم ينادى: أيها المبتدعون الدائنون بالخرافة! دعوها فما لها من سلطان
ولا دوام، وماهى إلا أن تصادم الحق والعقل فيدمعها ويدمع أصحابها
فاذا هى زاهقة وإذا أصحابها مقهورون وإذا الغلب والعز للعقل
والهدى.. أيها المخرفون! إن الخرافة غضب الله يلقيه الأحيان في قلوب
صدت عن هداه عقاباً لها على صدودها وجفائها

انظروا كيف صنع الدين السليم من التخريف والجهالة بمن تمسك به . أراه به الأمثال العليا الشيقة فأحبه وغلا في حبه ففسى كل شيء في سبيل نشره وإعلانه واستسهل الموت وما هو أشد منه لذلك . وما استطاع شيء لا الموت ولا غيره أن يقف في وجهه وأن يرده عما أراد . ذلل له الأبيات فصعد به إلى ما فوق الماديات وبلغ به سدرة المنتهى فنظر إليه الناظرون من عل نظرة الدهشة والحسد . ووضعهم من تاريخ البشر في رأس الصفحة

إن في أطوار هذه الدعوم العجيبة وفي سير انتقالها لعبرة بالغة لمن يريدون الإصلاح ، وعظة فصيحة لقوم يتهيبون الجهر بالحق والصواب خيفة الغوغاء والدهاء ، وسيراً وراء إرضاء السلطنة الغاشمة أو طمعاً في تقديس الجاهلين المخدوعين . ثم فيها عبرة ناطقة لقوم يتجافون عن الدين ناسين أنه لا يجمع الجاهير المفرقة ولا يخلق الهمم التواقة إلى السكال مثل الدين والإيمان بالله إيماناً شجاعاً فطرياً

ولو أن المسلمين كانوا مؤمنين إيمان هؤلاء لما استطاع الغريب الغاشم أن ينال منهم بعض ما نال اليوم ، ولما رضوا بالهوان هذا الرضا ، أوردوا تحته هذا الرقود الطويل البغيض

أين من يعقل المواعظ ومن تقيده الحوادث الجسيمة . إنه لم يكن لقلب جزيرة العرب يوماً ما شأن يذكر في أطوار تاريخها كله ، وما ذكرت إلا بحسن خيولها وكثرة شعرائها وجودة شعرهم وخصب خيالهم ثم بشجاعة رجالها المنفقة في نهب روح القريب والصديق

وإثارة القلاقل . هذا هو كل ما كان قبل في الجزيرة . فلما أن عرفت الدين الصحيح أحبته الحب الخالص الصحيح وعلا بها إلى حيث ترمقها النواظر من فوق . . . إنه ما أسعد الانسانية الإِسعاد الصحيح مثل الدين ذى الآثار الحقة . فليطلب السعادة فيه من فقدها ، وليطلب المثل العليا الكاملة محبوبها وعاشقوها في الايمان الشجاع الصحيح

الدعوة في كلمات

نوجز هذه الدعوة في كلمات رغبة في بيانها :

العبادة صورها ومعانيها ألفاظها ومغازيها كل ذلك لله رب العالمين ، ليس لمخلوق لا نبي ولا ملك منها شيء . ومن فعل ذلك فقد تعدى حدود الله وحدود عقله

للأنبياء والملائكة والأولياء والعباد كلهم أقدار ودرجات لا يجوز إنزالهم عنها ولا رفعهم فوقها . ومن فعل ذلك فقد أغضب الله إذ أعطى خلقه حقه وأغضب عباده الصالحين أنفسهم إذ وضعهم في مواضع لم يضعهم الله بها

الأنبياء يطاعون ويمعظمون ويتبعون . والله يعبد ويدعى ويخاف ويرجى ويرجع إليه الأمر كله

المسلم لا يخاف ولا يرجو إلا الله ولا يخضع ولا يذل إلا له

وحده

الإسلام عبارة عن شيئين اثنين : كتاب الله الذى هو القرآن ،

وسنة نبويه التي هي الأحاديث الصحيحة . وما لم يكن أحد هذين الأمرين
فليس إسلاماً وليس من الإسلام في شيء .

الإسلام هو الدستور العام الشامل للمسلمين كافة فيما يتناول الفرد
والجماعة . لا يجوز فيه زيادة ولا نقصان ولا تحوير ولا تغيير

حق لكل مسلم أن يتدبر كتاب الله وأن يحاول فهمه على قدر
طاقته واستعداده ، وليس مفروضاً عليه أن يتقبل كل الآراء التي تقال في
تفسير القرآن إن لم يكن ثم دليل شرعي يعين ذلك التفسير

إجماع المسلمين ولا سيما الصحابة حجة شرعية يجب احترامها
المسلم لا يكون مسلماً إلا إذا جمع ثلاثة أمور : إذا اعترف به في قلبه ،
ودعا إليه بلسانه ، وعمل ما أمر به بكل جسمه وأعضائه . والوطني حقاً هو
من اعترف بمصلحة وطنه في قلبه ، ونوه بها في لسانه ، وعمل لتحقيقها بكل
جسمه . . . والرجل الذي لا يجمع هذه الأمور الثلاثة زائف الوطنية ،
كما أن المسلم الذي لا يجمع هذه الأمور الثلاثة زائف الإسلام أو هو
المسلم الزائف . وهما بين المسلمين والوطنيين كالورقة المالية المزيفة بين
الأوراق المالية الصالح

الإسلام وطن عام لكل من آمن بالله ورسوله . والأوطان الواقعية
للمسلمين هي أوطان خاصة ثانوية . وكل وطن جمهور أهله مسلمون
هو وطن لكل مسلم في الأرض

الإسلام قومية كبرى تتألف عليها قلوب المسلمين وأهواؤهم
وعواطفهم

المسلمون جسد واحد إذا ألم منه عضو أمت له سائر الأعضاء
المسلم لا يكون جباناً ولا ذليلاً ، ولا يكون موالياً لخصوم
الأمة والوطن أو الدين وإلا فهو الخائن ، والخائن لا يكون مسلماً حتى
يكون المسلم خائناً . للمسلمين كلهم وللعرب كلهم وطنان خاص وعام
وأدنى وأعلى ومادى وروحي : أما الأوطان الخاصة المادية فهي
الأوطان الواقعية لأهل الإسلام . وأما الوطن العام الأعلى فهو الوطن
الذي اشرق منه نور الإسلام ورسول الإسلام وجنود الإسلام .
والذي نزل فيها جبريل ومعه القرآن كتاب الله إلى محمد عبدالله ونبيه .
وهذه الأوطان هي أوطان أجسام المسلمين . وأما ذلك الوطن العام فهو
وطن أرواحهم وعقائدهم وعواطفهم بل وآبائهم . . وأنت إذا حننت إلى
وطن جسدك واشتقت إلى مولده حننت أنا إلى وطن روحي وديني
ومولدهما فكنت أنت مادياً وكننت أنا روحانياً ، فكنت أنا أرشد منك
في الحنين وفي الشوق

المسلمون عند الله سواء لا فضل لأحد على أحد ولا أحد أقرب
إلى الله من أحد إلا بالتقوى والأعمال الصالحة التي هي حق مشاع
بين عباد الله كلهم .

الإسلام ليس فيه وساطات بين الله وعبيده ، كالوساطات التي
تكون بين الخلق مثل ما بين الملك ووعيته ، بل المسلم يدعو الله ويرفع
إليه حاجته كفاحاً بلا وسيط ، فالوساطات لا تجوز إلا عند من يظلمون
في أحكامهم أو يجهلون أو يخافون ويرجون . أما الحاكم ، العالم بكل
شيء ، العادل في حالاته كلها ، الذي لا يخاف أحداً ولا يرجو أحداً

ولا يحتجب عن أحد فما معنى الوساطة عنده...؟! لا أنا ولا أنت
ولا أحد من العقلاء يتخذ عند مثل هذا وساطة

ليس هنالك أحد من الناس معصوم من الخطأ ما خلا الأنبياء
والمرسلين، وليس على مسلم أن يقلد في دينه إنساناً بعينه تقليداً أعمى
لا تفكير ولا اختيار معه، بل لا يكون المسلم تاركاً اختياره إلا عند
حكم الله وحكم رسوله

المؤمنون وإن تباعدت أوطانهم واختلفت لغاتهم. إخوان، تربط
ما بينهم رابطة هي فوق رابطة النسب ورابطة الوطن وفوق كل رابطة،
وهذه الرابطة هي رابطة العقيدة والروح والدين والإيمان. فإذا
ما عطف على من يجتمع معك في وطن أو نسب كان ذلك الذي يعطف
على من يجتمع معه في الروح والعقيدة والإيمان أصدق منك عطفاً
وأرشد منك عطفاً

المسلم يجب أن يكون رجلاً تام الرجولة، ميالاً إلى الجد، عزوفاً
عن اللهو والحلاعة وما ينتقص الرجل الكامل، لا يسرف في اللهو
والترف واللعب والعيشة الماجنة

على كل مسلم في الأرض أن يؤمن إيماناً صادقاً قوياً بأن له حقاً
مضاعفاً مغتصباً لا بد من المطالبة به والسعى وراءه مادام الإسلام غير
مرفوع الرأس في العالمين، وما دام بلد إسلامي تحت نير العدو الغاصب
وتحت راية ليست راية إسلامية

على كل مسلم أن يؤمن ظاهراً وباطناً بأنه لا أحد من الناس أجدر

منه في شيء ، وأن الله اختاره من شعب اختاره لأن يكون الوصي على العالم ، القائد الروحي له . فلا بد من السعى وراء هذه الوصاية ولا بد من بلوغها متى ما امتلأت نفوس المؤمنين بها المسلم لا يئس من بلوغ الغرض الأقصى مادام جاداً في الطلب ، جاداً في الجهاد والكفاح . بل يعلم بأن العالم في يدي الله يقبله كيف يشاء ، ويعلم أن الله ناصر حزبه وجنده ، وإن كانوا قلة ، على من خالف أمره وظلم وبغى ، وإن كان العالم كله .

على كل مسلم أن يجعل سلف المسلمين كأبي بكر وعمر وخالده ابن الوليد وعمر وبن العاص وغير هؤلاء : على كل مسلم أن يجعل هؤلاء أئمة إذا تم في جهاد أو دفاع أو مغامرة في أمر عظيم جسيم ، وأن يراهم المثل الأعلى الذي يحتذى ويقتدى به

على كل مسلم أن يجتهد في ألا يعامل إلا المسلمين ، ولا يقدم على المسلم غيره البتة في معاملة أو تجارة أو ما فيه نفع مادي أو أدبي وإجمالاً يجب على كل مسلم أن يجعل القرآن وسيرة أبطال الإسلام نصب عينيه في كل ما يحاول القيام به وما يحاول أداءه من معاملات ودفاع وجهاد وفي أعماله الخاصة والعامة الظاهرة والباطنة . ثم عليه أن يؤمن بأنه في عمله هذا بالغ كل ما يسمو إليه قريباً أو بعيداً ولا ريب

أيها العربي

أيها العربي :

إن ثلاثمائة مليون مسلم في أطراف الأرض ينظرون إليك من خلال دخان المدافع وبخار البوارج وقساطل الغزاة المعتمدين نظرة العائد المستجير الآمل الواجل ، نظرة المريض إلى وجه الطبيب . ويتلقفون صوتك من موجات الأثير خلال أزيز الطيارات وزئير المدافع وفرقة البارود وهزج البنادق تلقف الأزهار الظمأى الذابلة صوت الغمام الساكب ، أو تلقف الغريق الموبق صوت المنجد المغيث

وإن ألف مليون وثلاثمائة مليون ينظرون إليك نظرة الطمع والجشع والاختلال أو نظرة الشامت الساخر المتشفي ، ويحدقون بك تحديق الجائع الشره بالغذاء الشهى المستطاب . فأبصر كيف تنجى الأولين ، وكيف تنجو من الآخرين

أيها العربي :

ها أنت ترى العالم كله يعج بالويل والدمار ، ويئن بمعاول الهدم والتخريب والبلاء في السماء والماء والفضاء . كل جاد في اختراع أسباب الموت والبلاء ، والتنافس على ذلك ، وكل جاد في امتلاك الأنفاس والمياه والهواء والأرض والسماء ، وكل ينامظ إلى الدم القاني وإلى انتزاع الأرواح ، ويتوئب إلى خنق أنفاس كل ضعيف قليل الحول والطول . يتساءلون ولكن بأطراف السفار ، ويتجاوبون ولكن بالقذائف

المسمومة ، ويقطعون المعاهدات ولكن إلى استكمال آلات الموت والاستعداد للوثوب ، ويتلانون ولكن تطلباً للفرصة والغرة . أمسكوا أنفاسهم جميعاً إصاخة إلى طلقات الخطر وقصف المدافع وأزيز الطيارات ودوى البنادق . فإذا أعددت لهذا اليوم المشؤوم من وسائل الدفاع عن الحرم والذيادة عن الوطن ؟ وماذا ادخرت لرد أجناد المغيرين المعتدين من وسائل الموت والدمار في هذه الآونة التي لا ينجو منها إلا من ملك الموت والدمار !

لا ريب أنه ليس عندك من آلات الموت المادية مثل ما عند هؤلاء ، ولا تملك كل ما يملكون من ذلك . ولكن عندك عدة لا تقاومها عدة ولا يملكها هؤلاء الذين يملكون هذه العدد الجهنمية

إن عندك عدة الايمان بالله الخالص الحار ، وعندك كتاب الله ، ثم عندك الايمان بعدل قضيتك وما تدعو إليه والايان بأن ما أنت عليه حق لا باطل فيه ويقين لاشك ، وعندك الإخلاص لدعوتك وبلادك ، الإخلاص الذي يجعلك تقف أمام الظالمين ولو كانوا العالم كله وقفة تتناثر من حولها أرواح الظلم والاستبداد ولا تنزحزح ، وقفة يتلاقى عندها الايمان الخالص الشجاع بالفجور الخالص الجبان . إن عليك أن تأخذ من إيمانك وعزمك سلاحاً كافياً ، إن فاتك السلاح الكافي ، لتسحق به ما أمامك من عقبات وصعوبات وتحطم به ما يعوقك

عن أن تكون في الصف الأول من أمم الأرض ، بل أن تكون
الصف الأول

إن الإيمان والجد إذا صحّا لا يقصران عن غاية من الغايات ،
ولا تفوتهما حلقة من حلقات المجد ، ولا يدعان فضيلة من الفضائل
لسموها وبعدها

إن القوة لا تخلق نفسها ولا تدبر نفسها ولا يجدها الناس في
الجبال مهياً لمن أرادها . وإن الأمم لا تخلق شاكية السلاح كاملة
العدة عزيزة الجانب . إنه لا شيء من ذلك . ولكن الناس
يؤمنون بعدل ما يرومون فيعزمون فيعملون فيبلغون ما يبلغون
ويعدون أنفسهم ويصونون دولتهم ويحصنون عزتهم بسياج القوة
والعظمة . إن الإيمان هو الأول وهو الآخر أيضاً وهو كل شيء في
الحياة ومظاهر الحياة ، هو الذي يقاتل ويجاهد ويقوم بالهجوم والزيادة
والخلق والاختراع . فلا على الأمة الطامحة إلى العظمة إذن إلاّ الإيمان
الشجاع الخالص ، وعليها بعد الإيمان الجد والعمل بما يفرضه الإيمان من
من مضاء وإقدام وجلد ، وبعد هذا تمد يديها إلى اقتطاف ما تشاء ولو
كانت نجوم السماء ، فإن يقول لها شيء في الوجود كفى يدك . ولن
يقول لها أيضاً قائل هذا عزيز عليك

إن أقوى أمة في الأرض اليوم كانت في الأمس أضعف من
أضعف أمة في الأرض اليوم ، وما كانت قوتها إلاّ بإيمانها بعدل
ما تطلبه ، ولا كان ضعفها إلاّ بكفرها بما كان ينقصها ويعوزها

إذن لن يعجزكم شيء مع الايمان بالله إيماناً خالصاً بريئاً ، والايمان
بعدالة قضيتكم ، ثم إخلاصكم لها وجهادكم في سبيلها
إن السلاح الذي كان في أيدي أسلافكم يوم أن ملكوا العالم هو
اليوم في أيديكم . وهو الذي نصرهم لما عرفوا كيف يسرون معه وكيف
يعملون به ، وسينصركم ولا ريب إذا ما عرفتم كيف تمشون معه وكيف
تعملون به ، فإن الأمر الذي ينصرف في وقت لا يكون خاذلاً في وقت
آخر إلا أن تكون الوسائل غير الوسائل والغايات غير الغايات ، وإلا
أن يكون الشيء الواحد مقتضياً مانعاً ، كما يقول الأصوليون في أصولهم
هذا القرآن كتاب الله بأيديكم كما كان بأيديهم محفوظاً مرعياً ،
وهذه سنة النبي عليه السلام محفوظة لكم كما كانت محفوظة لهم ، وهذه
البلاد المقدسة التي كانت توحى إليهم حرارة الايمان وصلابة المهز ،
وتبعث إلى أوراخهم سعة الآمال وأنف الآناف عن الخضوع
والاستخذاء والرضا بالدون والقسمة الخاسرة ، وهذه السماء الصافية
التي كانت ترسل إلى أنفسهم الصافية الآمال المترفة السامية ، والهيم التواقة
إلى فوق ماتراه العيون عيون الخيال من السمو والرفعة والطموح ،
والتي كانت تعبر أنفسهم سموها هي وصفاءها هي وبعدها عن النقائص
والأدناس . هذه السماء الصافية التي كانت لهم كذلك ، هي لك اليوم
كذلك ، فانظر إليها تجدها كذلك

لا تقولن أين لنا اللحاق بالأمم وقد أدلجت وأضحينا ، أين لنا ذلك
ونحن في بلاد فقيرة وهم في بلاد تفيض ثروة وغنى وسعة . لا تقوان

شيئاً من ذلك . فإن هذه البلاد التي تراها تموج ثروة وغنى كانت في يوم قريب من أيامها في فقر مدقع وكان أهلها فقراء مدقعين ، وكانوا متأخرين ضعفاء ، وكانوا . . . وكانوا . . . ولكنهم آمنوا بفقرهم ونقصهم وتأخرهم ، ثم آمنوا بأنه لا بد من النهوض والغنى والعمل والجد ، ولا بد أن يعقب ذلك النجاح الباهر والنتيجة السارة ، فقاموا وعملوا وجدوا ، فأدركوا ما أملوا وفوق ما أملوا . حاولوا أسباب التقدم العمران والغنى كلها ، عمدوا إلى الأرض يستنبطون كنوزها ، والأرض كنز لا ينفد ، وعمدوا إلى ما لا يصلح للزراعة منها والاتاج فشدبوه وهذبوه وأنفقوا عليه الكثير المختار من العمل والصبر والتفكير والمال حتى أصبح أرضاً خصبة تؤتي أكلها كل حين . ولقد أصلحت دولة إيطاليا بؤراً من أرضها ما كانت تصلح في يوم من أيامها للزراعة حتى صارت من أخصب الأرض . وكذلك فعلت سائر الدول .

لا تقولن شيئاً من ذلك والمثل الذي يرد عليك تأخذه من نفسك . هؤلاء أسلافك الذين طوقوا العالم كله كانوا هم في هذه البلاد التي تزعم أنها فقيرة وبعيدة عن أسباب الثروة ، فهل منعهم هذا أن يكونوا سادة العالم وقادة العالم وأغنياء أهل الأرض حيناً ليس بالقصير من الدهر ؟ ! بل لقد كان هذا سبباً عاملاً في غنائهم وحوْلهم وطولهم

هنالك أمر واحد كان أسلافك يحوزونه ، به يقاتلون ويعملون ، وبه يبلغون ما يطمحون إليه بلا كلال . هذا الأمر هو إيمانهم ، الإيمان الذي قتل من أنفسهم كل العوارض المعوقة عن تسنم الآمال القصية

المنعمة . قتل الأنانية والجبن والذل ، ثم قتل الحيوانية المفروضة على كل إنسان ، المجهول عليها كل إنسان ، حتى أصبحوا روحاني الباطن إنساني الظاهر ، أصبحوا روحانيين فما استطاعت المادة الكثيفة أن تحول بينهم وبين ما تسمو إليه إنسانيتهم . وهل تستطيع المادة أن تقف أمام الأرواح والروحانيين النورانيين ؟ !

إن أسلافك كانوا يحوزون هذا السلاح . فما عليك أنت إلا أن تحوزه ثم تكون كما كانوا وتدرك ما أدركوا . اقتل من نفسك الأنانية والحيوانية وعاهد الله على قتل هذين الخلقين العدوين ، وأنا أعاهد الله ثم أعاهدك أنى أول من يقتل هذين الخلقين من نفسه وأول من يطوئهما تحت نعله

لا يكون الإنسان إنساناً حتى يغسل من نفسه الأنانية الصماء العمياء الهوجاء . ولا تبلغ أمة غرضها الأقصى مادامت خاضعة لانانيتها وحيوانيتها

لقد فكرت في خلق الأنانية فوجدته الأمر الذي يقضى على الأفراد والجماعات وعلى الآمال ، فإنه هو منبت الحسد والتنافس الرديء وحب الذات ونسيان كل شيء في سبيل ذلك . وهذه الأدوية ما اجتمعت في جماعة إلا وضعتها في الحضيض الأسفل ، وقامت أظافرها وشذبت قوتها مادية ومعنوية . فإذا ما كانت هذه الأدوية في الجماعة كاد بعضها بعضاً وأبغض بعضها بعضاً وحطم بعضها بعضاً ، فتحطمت كلها فأصبحت في الغابرين

يقابل هذا الخلق الردى ، أعنى الأناية ، خاق آخر جميل رضى .
ذلك هو خلق أسميه نقاء الباطن أو خلوص السريرة من أعراض الحيوانية .
وخلق نقاء الباطن يصير الأمة ملائكة متجسدين بأجساد الإنسانية .
هذا الخلق إذا اتفق لأمة سماها إلى أبعدها تشاء وبلغ بها كل ما تقرضه
على الدهر وتقرحه على القدر . لأننا نعنى بنقاء الباطن خلوصه من
سائر العلل الرديئة ، من الشك والحيرة والحسد والخبث والأناية ونار
الغيرة ، ثم من الجبن والخنوع للظلم والاستخياء للظالمين ، ثم تعلق النفس
بشئ واحد نسميه الحق والعدالة تعلقاً يجعلها تفتنى فيه ، لافناء الصوفية
والصوفيين ، بل فناء الباطل فى الحق ، والجور فى العدالة ، والأناية فى
الإنسانية ، تعلقاً يجعلها لا تبصر إلا الحق وحده والعدالة وحدها ، ثم
لا تعلم أن فى الوجود شيئاً يحسب له حساب غير الحق والعدالة
أيها العربى :

لقد أخذت الحكومات العريضة فى الاسلام ونصرة الإسلام
تنكر له وتقلب له ظهر المجن بشكل يدعو إلى التشاؤم والريبة
ويخشى أن يكون واسع النتائج السيئة . فكن أنت إذن النصير له
فى عصر نكبته وبلائه ، وكن أنت حاميه وملاذه فى يومه العصيب ،
كما كان سلفك له فى أيامه العصبية الأولى ، يوم أن كان غريباً فى داره
ذليلاً بين أهله ، اسم به وليس بك أيضاً سمواً يجعل هؤلاء الذين
تنكروا له يحسدونك عليه ويعرفون أنهم قد رموا سلاحاً كانوا به
قادة أعزة ، وصولجان عز ونفخ كان يتألق فوق رؤوسهم ، وينظر إليه

نظر الغبطة والحسد . اسم به سموأ يكون حجة على هؤلاء الذين تركوه زاعمين أنهم ما تركوه إلا بعد أن علموا أنه سبب تأخرهم وبلائهم الذي هم فيه . أقم عليهم الحجة الواضحة ، ولا تدعهم يذهبون في وهمهم بعيداً . كن أنت الفارق لهم بين الحق والباطل

لا ريب أن نهوضك به ونهوضه بك يجعل هؤلاء الذين رغبوا عنه جهلاً به وبقيمته يرجعون على أنفسهم بالندم واللائمة ، ويدركون أنهم ما كانوا موفقين في اليوم الذي أعلنوا به العداء للإسلام ولغته ، وأن ذلك كان منهم نزوة من نزوات الشيطان أو العجل المقرون بالزال أما إذ ما وقفت به والناس يتقدمون ، فإن هؤلاء ولا ريب يعدونك حجة لهم على عدائهم الإسلام ولغته ، ويقولون : هؤلاء العرب أهل الإسلام ولغته ومصدره ، والواضعون أيديهم على المقدسات الإسلامية ، تمسكوا بالإسلام وبأحكامه ، فاذا عمل لهم ؟ هل قدمهم ؟ ! هل جرى بهم مع الأمم إذ جرت ؟ ! وهل . وهل . . . من أنواع الاعتراضات والأسئلة . فلتكن إذن حجة الإسلام لا حجة عليه ، ومثال قوته لا مثال ضعفه ، وعنوان نهوضه لا عنوان سقوطه ، ومظهر سره لا مظهر فقره

أيها العربي :

إن الله قد خصك بفضيلة قد انفردت بها بين المساميين . وذلك أن جعلك تضع يديك على المقدسات الإسلامية والمعالم الطاهرة التي تهفو إليها قلوب المساميين في أنحاء المعمورة كلها ، وجعلك ملتحق المساميين في

كل عام وقبلتهم كل يوم إذ يصلون لرب العالمين . بهذه الفضيلة التي تقابل نقص ثروة بلادك تستطيع أن تستفيد فوائدها وأن تكسب بها رضا المسلمين وقلوبهم . فهل استثمرت هذه الفضيلة النادرة وانتفعت بها ؟ وهل جددت في استغلالها ؟ إنها فرصة رابحة سانحة ، التفريط فيها تفريط في أمر لا يعوض

إن كسب قلوب المسلمين لأمر خطير ، وهو سهل حين لا يحتاج إلا إلى مجهود ليس على الرجل الرشيد بمسير ، يحتاج إلى الأخلاق الطيبة ، والدعاية المنظمة ، والملاينة واکرام الوفادة ، ثم يحتاج إلى أن تبسط قضيتك العادلة لعقلاء الوافدين بسط الحكيم البعيد عن التهور والغش والحقارة . فرصة جاءتك عفواً تبذل الحكومات العظيمة أوف ألوف الجنيهاً لأجل الحصول على مثلها أو أقل منها
أيها العربي :

إن الساعة رهيبة تتطلب الحزم والعزم واليقظة التامة والدأب القوى . إن هذا العصر لم يكن كالعصور الذاهبة في الوسائل والغايات . هذا العصر هو في الحق عصر الخداع والشره والكذب والفجور الأعمى الأصم . عصر لا يعرف أن الحق والحياء وجدوا في سبيل إشباع المطامع الحيوانية

ها هي الشعوب الطيبة القلوب تنخطف من كل مكان بالوعود الفاجرة ، والمعاهدات المزورة المصبوبة في قوالب النفاق والغش والصفافة . وها هي نفوس الشعوب وأرواحها تذبح وتستباح علناً باسم

الثقافة والتعليم والحرية الفكرية الملحدة. وهذه القوميات تباع وتشترى
وتراق دماؤها على حساب حرية الصحافة وحرية النقد. وهذه
الأخلاق الماجنة الفاجرة توزع على الشعوب المهوكة القوى الروحية
والمادية باسم العلوم والآداب والفنون. وهذه الآفات الاجتماعية
والأمراض الخلقية تفرض على الأمم المتأخرة فرضاً بأسماء خداعة
غرارة ومعارض براءة مزورة تستبي أطفال العقول وضعاف المدارك.
هذه الآفات كلها قد طمت على الأقطار وغمرتها حتى ألفت وصارت
جزءاً من حياتها لا يتجزأ، كما يقولون، تفريراً وخداعاً

فذار أيها العربي هذه الآفات وما يمس الأخلاق أو المعنويات
الطيبة، فاكلاً خلاق مفقود. ولقد علم الناس أن الأمم الظالمة المعتدية
لا تقدم على غزو الأمم الضعيفة بالعدوان المسلح حتى تغزو أخلاقها
ومعنوياتها فتنهكها وتضعفها وترميها بالفشل، ثم تغزوها بالحديد والنار
فلا تجد حينذاك مقاومة ولا دفاعاً. أعنى أنها تعتمد إلى قوة الأمة
المعنوية فتحطمها وتشذبها من أطرافها، تارة بإفساد عقائدها بالشكوك
والريب، وتارة بإفساد أخلاقها يجلب الفجور وعرض الفجور، ثم
تتقدم إلى قوتها المادية فتلحقها بقوتها المعنوية تحطماً واستئصالاً، فتنال
ما تصبو إليه من الانهك والاضعاف، ثم تفرض ما تشاء على ذلك
الشعب المنكوب بسوء الحظ الذي رماه بين هؤلاء الغادرين الخونة
والقوات المادية مهما يقل في إكبار شأنها وخطرها لا تقاوم
القوة المعنوية. فإن الروح في الواقع هي مبعت القوة والأيد. وإذا

ضعفت الروح ضعف الجسم كله وتمطلت آلاته الميكانيكية ، أعنى أعضائه وجوارحه . وما يعنى السيف البتار فى يد من طارت نفسه شعاعاً خوفاً وذعراً ؟ وماذا يصنع الرجل الضعيف الروح ، وإن كان مسلحاً ، أمام الرجل الأعز ذى الروح القوية ؟ إنه لاشئ . ولهذا أذهب إلى أن استخذاء الشرقيين على وجه العموم ، أو المساميين على وجه الخصوص ، لسيطرة الغرب ليس راجعاً إلى فقدان القوة المادية فحسب ، بل إن هذا الخنوع الذى ليس له مثيل فى التاريخ يرجع فى الأغلب إلى فقدانهم القوة المعنوية ، وإلى تخاذل القوى النفسية منهم . وقد عهد التاريخ حديثاً وقديماً أن الأمة إذا قويت معنويتها استطاعت السمو إلى ما تريد ولو كانت عزلاء ، واستطاعت استرداد كرامتها وعزها من الغاصب المسلح . ولقد كانت الولايات المتحدة ، وهى اليوم من أرقى دول الأرض ، فى عصر قريب من عصورها ، مستعمرة انجليزية بحالة الشرق اليوم . فلما أن استكملت قوتها المعنوية ثارت فى وجه الإنجليز ثورة عنيفة رمتهم وراء الحدود ، واكتسحت سلطانهم اكتساحاً لم يبق ولم يذر ، فسارت فى طريقها حتى أصبحت كما هى اليوم وليس هنالك شئ يضعف القوة المعنوية مثل فساد العقيدة وتسرب الشك والحيرة إلى النفس ، ثم فساد الأخلاق وتدنيسها بالمعاصى والفسوق ، وما فسدت أخلاق أمة وعقائدها إلا سقطت فى الحضيض الأوهى من الذل ، ولو كانت فى أعلى سماوات المجد والشرف . ولقد أدرك هذه الحقيقة هؤلاء الغزاة المدمرون ، لا المستعمرون ، فجدوا جداً

عظيماً في إفساد عقائد الشعوب المغزوة المنكوبة و افساد أخلاقها ،
ووفروا أسباب هذا الفساد بشتى الأساليب وكثيرات الطرق .
وما يخافون شيئاً مثل خوفهم الشعب المحافظ على الايمان النقي والأخلاق
السليمة ، بل إنهم يرون مثل هذا الشعب أكبر خطر على نفوذهم . هذه
حقائق لا تند عن بال أحد

ولا يقولن قائل : هذه أمم أوروبا على غاية من فساد العقائد
والأخلاق ، وعلى غاية من الامعان في الفجور والفسوق ، ومع هذا
كله نراهم سادة الأرض ومصرفى شؤونها . فكيف تقول إن
الشعب إذا فسدت عقائده وأخلاقه أصبح عاجزاً عن السيادة والسيطرة ،
عاجزاً عن المقاومة ؟ . . لا يقولن قائل ذلك . فإن دول أوروبا فيها
مع هذه الأدواء الفتاكة والمخازى المتعددة فضائل أخرى من الحزم
والعزم والنشاط والنصح لأمتهم وأوطانهم والاستماتة في سبيل ذلك ،
وهذه تقاوم خطر تلك الأدواء العنيفة وتدفع ضررها عن هيكل الأمة .
وقد يغلب الداء وقد تغلب السلامة . والأمة في جملتها مثل الجسم
النامي ، تصيبه ميكروبات الأمراض والعلل ، فإن كان قوى البنية شديداً
قاومت حصانته ضرر ميكروبات الأمراض ، فيظل يرى في الظاهر
بريئاً سليماً مع وجود جراثيم الأمراض في بدنه ويوشك أن يتغلب
المرض . وهذا مثل أوروبا وقد يوشك أن يطغى فسادها على ما فيها
من حياة وعمران . وأما إن كانت بنية الجسم ضعيفة منهوكة فتعلق به
ميكروب مرضى وطوح به مرضه حتى يصبح من الهالكين .
وهذا مثل الشعوب الضعيفة كأغلب البلاد الشرقية

ولو أن هذه الدول القوية في رأى العين صادمتها أمة سليمة
الأخلاق صححتها بقوة تقارب قوتها لسحقها ولكشفت ذلك التمويه
والخداع البراق

ولقد فضح الله هذه الدول المظلمة بهرج التفرير وأبان حقيقتها
كما هي بحرب إيطاليا الدولة الأوروية المتمدنة لدولة الحبشة الأمة
المتأخرة البربرية كما يقولون ، وعرف العالم أن تلك العظمة المزعومة
ما كانت سوى أكداس من العصف والهشيم تبدهه زوبعة من زوابع
الايان والشجاعة

أيها العربي :

تجنب هذه السموم الفتاكة المروضة بأسماء الفنون والآداب
والعلوم والرقى والحضارة . فلقد حفظك الله من ذلك إلى هذا اليوم ،
فحافظ أنت ما بعد اليوم على روحك ومعناك . ولا تنس أن اليوم
رهيب ، وأن ساعة الخطر قد دقت ، وأن العالم كله صائر إلى الفناء والنار
قبل النار ، وأن الانسانية على خطر عظيم ، فكن أنت ناصرها ، وأن
الغلب اليوم وبعده اليوم للحيوانية العجباء الغاشمة ، فكن أنت حريها ،
وأن خير العلم مانع ، وأن السعيد من وعظ بغيره ، وأن الفرص تمر عجالات ،
وأن يوماً يفوت لا يمكن أن يستعاد ، وأن أمراً تستطيع عمله اليوم قد
لا تستطيع عمله غداً ، وأن أمماً مكبلة بأغلال المعتدين الغاشمين تمنى أن
تكون طليقة حرة مثلك فتعمل وتعمل

نظرة عامة

نلقى في هذا الفصل نظرة عامة على مافى تلك البلاد من دين ورأى وخلق ، ليلم القارىء بالحالة الدينية والخلقية العامة فى البلاد التى ولدت فيها هذه الدعوة . وقد كان اللائق بهذا الفصل أن يكون متقدماً وضعاً قبل بعض الفصول السابقة ، ولكن العذر فى هذا التأخير أنى لم أكن مفكراً فى كتابة هذا الفصل حتى طبع ما طبع من فصول الكتاب النجديون ، وأغنى بهم أهل نجد وملحقاتها ، كلهم مسامون وكلهم راض بدينه الاسلام رضا عجيباً . لا يمر على بال أحد منهم طيف الانقلاب عنه أو التفكير فى غيره ، متمسكون بفروض الدين تمسكاً عجيباً ، حتى إنه لا يوجد فيهم من يترك الصلاة أو الصيام أو الحج إذا استطاع إليه سبيلاً لا ظاهراً ولا باطناً ، بل ليس فيهم من يؤخر صلاة إلى وقت الصلاة التى بعدها البتة ، بل يندر جداً من لا يؤدى الصلوات كلها فى أوقاتها الأولى فى المساجد جماعة . فهم يهبون إلى أداء الصلاة فى بيوت الله عندما يسمعون الأذان مبادرين تاركين ما بين أيديهم من أشغال وأعمال مهما تكن الأشغال والأعمال ، مسوقين فى الأكثر بحادى الإيمان وخوف الله ، ومن لم يكن كذلك ساقه خوف الناس ولائمة الذين يأمرون بالمعروف الصغير والكبير ويشددون النكير على من يتهاون فى أداء فرض من فروض الدين . وهنالك فى أغلب المساجد توجد هيئة متطوعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وتفقد الناس في الصلوات ، ولا سيما صلواتا العشاء والصبح ، وعند هذه
الهيئة جريدة فيها أسماء رجال الحى الذين يظن أن يصلوا في مسجدهم
يقيدون فيها أسماءهم بالأحصاء التام ، وعند ما ينتهون من الصلاة يقوم
إنسان فيتلو أسماء رجال الحى الواحد بعد الواحد ، مثل ما يكون في
المدارس لتفقد التلاميذ . فاذا ما تأخر امرؤ واحد عن حضور الصلاة
حسب ما عندهم في الجريدة ذهبوا إلى منزله يسألون عن سبب تأخره
عن الصلاة جماعة ، فإن كان مريضاً عادوه وواسوه ، وإن كان
مسافراً دعوا له في الذهاب والاياب ، وإن كان مقصراً نصحوه بأن
لا يتأخر مرة أخرى وإلا أغلظوا له في الإنكار

وهذا العمل في ظنى فريد في بابه ، وهو غاية في المحافظة على
فروض الشريعة . وما نظن أناساً بلغت بهم المحافظة على أوامر الله
هذا المبلغ

وكثيرون منهم يبادرون إلى المساجد مبكرين جداً قبل حلول
وقت الصلاة بساعات ، وقد يصلى الواحد منهم أربعة فروض : الظهر
والعصر والمغرب والعشاء ، دون أن يغادر المسجد ، وهم يحرصون جد
الحرص على الصف الأول ويتنافسون على الدنو من الإمام ، حتى إنهم
ليلة الجمعة يعدون أما كنهم في الصف الأول من أول الليل ،
يطرح الواحد له علامة عصاً أو مصحفاً أو شيئاً آخر ويدعه عند
النوم كذلك ، فاذا ماصلى الفجر ، وهم يصلون في أول الوقت ، جلس في
مكانه استعداداً لصلاة الجمعة ولم ينتقل حتى يصلى صلاة الجمعة إلا

لحاجة لا بد منها من حاجات الانسان . وهم يفعلون ذلك تقرباً إلى الله
وحرصاً على رضاه

والناس هنالك على مذهب السلف الصالح ، أعنى الصحابة والتابعين ،
في العقائد والآراء والأعمال ، لا ينعمون بغير مذهب السلف الصالح
عيناً ، ولا يعدلون عنه في نظرية واحدة من النظريات . أريد أنهم
يذهبون مذاهب الأئمة القدامى في احترام نصوص الدين وتقديرها
وإبعادها عن التفاسير المجافية لذوق اللفظة وذوق اللغويين ، وعن
المأثور عن السلف الصالح في تفسيرها وتأويلها . لا يقبلون تأويلاً من
من تأويلات الباطنية والصوفية ولا غيرهم من علماء الكلام الذين
ساطوا التأويلات البعيدة جداً على النصوص حتى ذهبت بقداسة
القرآن والسنة من النفوس ، نفوس المؤمنين بها ، وحتى جراً فريق من
علماء الكلام المصابين بداء التأويل أن يقول : إن القرآن والسنة
لا يفيدان العلم ولا اليقين ولا يجوز الأخذ بهما في العقائد ، لأن
الكلام عندهم كله ظني لاحتماله التفاسير الكثيرة . وهذا من أخطر
ما للتأويل من جنابة على الوحي . وعند هؤلاء أن الله لو لم ينزل كتاباً
على الناس يذكر به ما يصح من العقائد والآراء لكان أرفق بالناس
وأسعد لهم ، ولو لم ينزل لم يكن هنالك ضرر ، لان الحاكم عندهم على
النصوص وعلى كل كلام هو العقل والرأي ، أما النصوص فلا فائدة فيها
البتة . وهنا يتجلى لناغور السلف حينما اشتدوا في مؤاخذة أصحاب التأويل
المجافي للمعهود من كلام العرب ومعروف الخطاب . فقد نظروا من

وراء الغيب بأذهانهم الصافية إلى ما سيحدثه الذهاب مع التأويل من الآراء الباطلة والاعتداء على شرف النصوص ، فأنكروا التأويل بشدة ولم يرضوا منه شيئاً . وفي الحق أن من نظر نظرة الفيلسوف المتعمق الذي يزن الأشياء بنتائجها لم يجد بداً من إنكار التأويل والإنكار على منتحله . وآثار التأويل الوخيمة أكبر شاهد على بطلانه . وقد وجدنا بالاستقراء أن من اعتاد تأويل النصوص ذهبت قيمتها من نفسه فقسا قلبه فاستهتر بالدين والعبادة

والناس هنالك في الأحكام الشرعية على مذهب الإمام احمد بن حنبل ، يفتي القضاة والمفتون من المذهب ، ولكنهم لا يتعصبون للمذهب تعصباً أعمى كما يصنع كثير من الناس ، يقولون في التقليد وفي العلماء . بل هم إذا وجدوا مستنداً شرعياً من القرآن أو من السنة لم يصدفوا عنه البتة ، بل يقضون به ويدعون فقه الحنابلة جانباً مقدمين عليه حكم الله وحكم رسوله . وتحقيق الأمر أنهم إذا لم يجدوا نصاً من كتاب الله وسنة نبيه ودار الأمر بين أن يأخذوا برأيهم ورأى الإمام احمد قدموا رأى الإمام احمد ، وقد يقدمون رأى غيره من الأئمة ، لأنهم يرون الأئمة أعلم بالله وأتقى لله منهم . والأمر الذي جعلهم يميلون إلى الإمام احمد أكثر من ميلهم إلى غيره هو علمهم بأن الإمام احمد أوفر الأئمة معرفة بعلوم الحديث وأكثرهم حفظاً لها . وهذه الطريقة أحسن الطرق وأكثرها عدلاً . لا يقدم المسلم على كلام الله وكلام رسوله كلاماً ، فإن لم يجد من ذلك شيئاً في

الموضوع قدم فهم الأئمة الصالحين على فهم نفسه ورأيه الخاص .
ولا يكون كقوم مفرطين ومفرطين ، قوم يدعون كلام الله وكلام
رسوله جانباً لشيخ يقلدونه ، وقوم يعتدون بأنفسهم جداً حتى لا يبالون
بالأئمة ولا بما يقولون بل يسخرون منهم . والقصد في كل الأمور هو
أجل الأمور وأزكاها عند الله

والناس هنالك يحبون العلماء ويحترمونها ظاهراً وباطناً ،
لا يقدمون على العالم أحداً من الناس . وعندهم أن كلمة « شيخ » أو
ابن الشيخ من أشرف الكلمات معنى وأعزها لفظاً ، وأحسب أنه
لا يهتز أحد لألقاب المجد والفخر اهتزاز ابن الشيخ إذا ما قيل له
يا ابن الشيخ ، ويشعر عند هذا النداء في أعماق نفسه بسرور لا يشعر به
أحد من حائزي ألقاب المجد والمعزة . وهذا الاحترام والحب اللذان
يتمتع بها العلماء هنالك راجعان الى أمرين اثنين : أحد الأمرين حب
الناس هنالك للدين وعظمته في النفوس . والأمر الثاني احترام
العلماء هنالك أنفسهم وزهدهم في الدنيا واستقامتهم ونبذهم ما يخذش
حرمة العلم والعلماء . فالعلم هنالك إذا ما قال سمع ونفذ قوله وتقبلته
النفوس راضية مسرورة ظاهراً وباطناً . بل نستطيع أن نقول إن
الأمور تجري في تلك البلاد طبق ما يريد العلماء وما يقولون ، لأنهم
يتكلمون بلسان الشرع ويقضون بقضائه

والناس هنالك يمتنون كثرة الجدل والمراء في الدين والأبحاث

ويتجافون عن يرغبون في ذلك وينتحلون به ، لأنهم يرون الجدل والمرء
(ميكروب) النزاع ، والنزاع ميكروب الخلاف ، والخلاف ميكروب
الفرقة والبغضاء . وهذه الأمور إذا اجتمعت لأمة قضت عليها
قضاء مبرماً وقامت أظافر ماديتها ومعنويتها . والمرء والجدل في
الغالب لا ينصران حقاً ولا يحدثان سوى الإبحن

والناس هنالك يؤمنون بالقضاء والقدر إيماناً لا يتزعزع ، إيماناً
له الأثر البارز المحمود في حروبهم وسلمهم وغنائم وفقرم وحالاتهم
كلها خيراً كانت أو شراً ، وهكذا يكون الإيمان بالقضاء والقدر
إذا كان إيمان عاقل . يقدمون في الحروب بشجاعة فائقة ويلاقون
الموت باسمين راضين ، لأنهم يعلمون أن الله إذا كان قد كتب لهم
حياة فلن تفوتهم وإن وقفوا في جفن الردى ، وإن كان قد كتب لهم
موتاً فلن يفوتوه أو يفتوا منه ولو كانوا محصنين في بروج مشيدة ،
فإذا يغنى الفرار وما يضر الأقدام . إذن ليقدم المرء في المعامع
وما قدر عليه أوله فإن ينقص أو يزيد ، بل وليكن ما يكون ، فما علينا
سوى الإقدام إلى ما يدعو إليه العدل وما ينصر الحق على الباطل ،
والقضاء والقدر بيد الله . وأما السلم فيقبلونها أيضاً راضين طائعين
مؤمنين بأن الله هو الذى قضاها وقدرها ، ولو شاء لما كان سلم ولما
انفك الناس متحاربين خائفين في نزاع ونضال . إذن لنعبد الله وحده
ولنحمده على قضائه الرضى وقدره الميسور ، ولنحبه إلى ما يدعونا إليه
من الحذر والحيطه ، فلا نأمن مكر الله وقدره إذا ما أضعنا الفرص

السانحة ، ولناخذ حذرنا من طوارق الحدثان ومفاجآت القضاء
والأقدار ، فالسلم لاتدوم كما أن الحرب لاتدوم ، والخير والشر
يتعاقبان في كفتي القضاء والقدر تعاقب الليل والنهار ، فلا يغر العاقل
بهذا ولا بهذا

وأما الفقر فيصبرون عليه ويقبلونه بقلوب ملامى بالإيمان
بأن ذلك قضاء الله وقدره فلا فرار منه ولا هروب عنه إلا إلى الرضا
والتسليم ، والجزع لا يفيد في دفعه أو رفعه ، فلا مندوحة عن الرضوان
وعن التعرض لتحويله . لهذا لاتوجد بينهم جريمة الانتحار ، بل
لا يفكرون فيها .. وأما الغنى فلا يغترون به ولا بدوامه لأنهم
يعرفون أن ذلك قضاء الله المحتوم ، وهو أيضاً يأخذه منهم بالقضاء
إذا شاء . فليس إذن وجود الغنى دليلاً على رضا الله على الغنى ، وليس
هو آتياً بحذق المرء وقوته وحده ، بل ذلك من الله وإليه بقضائه
وقدره . فغنى إذن من يغيره الغنى أو غيره من أسباب النجاح الظاهر ،
وغنى ذلك الذي يسكره غناه اليوم ويظفيه ناسياً قضاء الله وقدره
الذين يقسمان على الخلائق الأرزاق قسماً عادلة . إذن ليكن المسلم
ملكاً يسمو على المادة والماديات . ويسمو على الغنى والفقر ، لا يحزنه
فقر ولا يفرحه غنى ، ولا يكن كالطفل يظن أن ما يقع تحت يديه
ملكه الذي لا يزول ولا ينزع

والناس هنالك قليلو التقاضى ، يقل جداً أن تذهب خصومة
برجلين أو رجال إلى القضاء ودور القضاء ، ومن النادر جداً أو من

المفقود بتاتا أن تلجأ امرأة إلى القاضى لتشكو زوجها أو تشكو
تقصيره في حقها أو تطلب منه نفقة أو نحو ذلك . ولهذا فإن القاضى
يجلس على منصة القضاء الساعات بل الأيام فلا يحضر لديه سوى
المستفتين السائلين عن شؤون الدين التى يجهلونها . وأما الخصومات
فلا تجد من ذلك شيئاً . وهذا أمر مشهود في البلاد كلها . وهو يرجع
إلى أسباب : يرجع إلى صرامة القضاء وسرعته الفائقة وفق الشرع
الحنيف حتى لا يأمل الكاذب أو الخائن أو المزور أن يجد له منفذاً
أو فرصة يستطيع بها الانقلابات من العدالة ووضع الحق في نصابه .
وإذا ما علم الكاذب أن كذبه مفضوح فجازى عليه فلن يكذب أو
يزور . ولا ريب أن التباطؤ في إصدار الأحكام واللجوء إلى تأجيل
الحكم يمكنان المزور من جمع الدلائل الكاذبة على أنه برى ، صادق وأنه
مظلوم ، ولا معنى للتأجيل في الأكثر إلا إعطاء الباطل الفرصة ليدعى
أنه حق لا باطل فيه . وهنا نستطيع أن ندعى أن أكثر المحامين ،
شرعيين وأهلين ، ما هم إلا أداة الباطل والتزوير وإفلات المجرمين من
سلطان العدالة

ويرجع أيضاً ما ذكرنا من رغبة الناس عن المحاكم إلى قناعتهم
ورضاهم بما قسم الله لهم ، وإلى وفرة دين القوم وخوفهم الله رب العالمين .
فكبير جداً على نفس آمنت بالله ويوم الجزاء الذى لا يفلت منه أحد أن
تدعى ما ليس لها ، ثم تحاول حشد الدلائل المزورة على صدق دعواها ،

ثم تحاول تضليل القاضى والقضاء . لجدير بمن يفعل ذلك ألا يكون
آمن بالله ويوم الدين والجزاء

والناس هنالك راضون بعيشهم وما هم فيه كل الرضا، مغتبطون بما
وهبهم الله ، بل قد يرون أنه ليس على وجه الأرض أسعد منهم
ولا أطيّب عيشاً وحالا من عيشهم وحالهم . وهم يرون كل ماصابهم من
خير إنما سببه الله وجوده تفضلا ، وما أصابهم من شر وبلاء إنما هو
من أنفسهم بسبب أعمال اجتمموها لا يرضاها الله . ولهذا فإنهم يفرعون
عند البلاء ، كالفقير والضراء ، إلى التوبة والاستغفار والتوسل إلى الله
بالأعمال الصالحة والدعوات الفازعة إلى اقتراع أجواز السموات . وعند
الخير يمعنون في حمد الله وشكرانه استبقاء لنعمة ، ولا يرون رأى قوم
غرهم بالله الغرور فأفسد عليهم دينهم ودنياهم ، يرون ما بهم من خير
من أنفسهم وما بهم من شر من الله

والناس هنالك مغاوير في الحروب ، يقدمون على الموت إقدام
من لا يملك حياته . من أعظم العظام عندم الفرار حذر الموت ، ولعله
لا تقيصة تعدل هذه النقيصة تقيصة الفرار عند طوائف منهم . وقد
يرون كل ذنب يستطيع المرء غسله حاشا ذنب الفرار إذا التقى الجمعان .
وكثيرون منهم ومن هؤلاء « الإخوان » يصورون هذا المعنى الجليل
في أذهانهم حين الهجوم : الجنة أمامكم ، والنار وراءكم . وهذا أبلغ من قول
ذلك العربى العظيم : العدو أمامكم والبحر وراءكم . وبهذه المعانى الانسانية
السامية تساموا على الأقران في الحروب ، ونزلوا بالأبطال بشفرات

سيوفهم إلى حيث يشاؤون . فهم عند ما يقرع آذانهم نفي الحرب
يضع كل إنسان ما بيده ثم يضع فيها ما يستطيعه من عدة الحرب ويؤم
ميدان الصراع ذاهباً على سجيته في نظام الحرب والتلف إلى الأعداء
وإلى ارتشاف دم كل عنيد جبار لا يرعى لله ولا للعدل ولا للعباد حقاً
ولا قانوناً

وبعض الجمهور هنالك ينفرون من الأجانب ، وقد يسيئون الظن
بهم . والسبب في هذا النفور وهذا الظن ، أن الدولة العثمانية لما كانت
تجارب نجداً وتحكمها كانت تبعث جيوشاً وعساكر جهالا لا دين لهم
ولا نظام ولا عدل ولا رحمة ولا عفاف ولا نظافة ، وكانت هذه
العساكر تري النجديين ضروب الخروج على الدين والخلق والأدب ،
فقامت عندهم فكرة هي أن الأجانب كلهم مثل رجال الدولة العثمانية
دولة الخلافة لا يرعون فروض الدين كما يجب . وبقيت هذه الفكرة
في أذهان طوائف منهم حتى يومنا هذا

والناس هنالك يحرزون قوة معنوية فائقة ، ويؤملون في معنويتهم ،
إذا ما اعتمدوا على الله ، أن تحطم أكبر قوة تريد منهم مالا يريدون
ومالا يرتضيه العدل والنصفة . فهم لا يحسبون أنفسهم يوماً ما أقل من
أن تنازل أعظم قوة ظالمة ، وتناوى ، أكبر جيش يريد غزوه والاعتداء
عليهم . بل إن كثيرين منهم يؤمنون إيماناً جازماً بأنه لا توجد قوة في
الأرض تستطيع كسرهم وغلبهم . ولهذا القوة المعنوية فضل كبير جداً
في احراز النصر في الحروب التي خاضوا غمارها وصلوا نارها .

وما أقل أن يهزم جندي مخصوص الحرب وكله إيمان بأنه الفائز وبأنه ساحق
ما أمامه من أعوان الظلم والعدوان . وهذه القوة المعنوية ترتكز على
ثقتهم بالله وإيمانهم به واتباعهم أو امره واعتقادهم أنهم يدافعون عن
الدين والعدالة والنظام ، وينازلون الفوضى والجور والفساد . وعلى هذه
المعاني السامية تقوم شجاعتهم وقوتهم المعنوية . وخليق بمن يدافع
عن العدالة والنظام والمساواة بأن يمتلك القوة المعنوية التي لا تغالب ،
وأن يكون المتفوق المنصور على من يغزوللسلب والطمع والمادة الجشعة
المعبودة ، أو للدفاع عن الفساد والاستبداد الفاجر الجبان

وللناس هنالك فكرة فلسفية عميقة نحو الحياة الدنيا والأخرى
دار الجزاء الأوفى . ينظرون إليهما نظرة من سما بنفسه عن نفسه وعن
المادة وعن كل ما لا يكون له الخلود الأبدى والبقاء الذي لا يمسه
زوال . يعتبرون الحياة الدنيا دهليزاً وممرّاً للأخرى . وبعبارة أخرى
لا يرون الدنيا ولا الفلسفة في وجودها إلا أنها مزرعة الأخرى ، كما
يعبرون هم . أي يرون أن الدنيا لم تخلق ولا فائدة في وجودها إلا ليعبد
الله ويقام العدل وينتصر للمظلوم الضعيف من الظالم القوى . فما في الدنيا
مما خلقه الله ومما سيخلقه لا غرض منه إلا ليستعين به العباد على عبادة
خالقهم وطاعته ، وعلى محاربة الفساد والظلم وفكرة استغلال ضعف
الضعفاء لتسخيرهم وحملهم على الخسف وخطة الضيم . فما في الدنيا شيء
خلق لذاته أو أريد لذاته ، ولكن الأشياء كلها أدوات لايجاد المعاني
الانسانية الجليلة . ولهذا فانهم يسمون بأنفسهم عن الدنيا وعمها فيها ،

لا يذلون أنفسهم لشيء من ذلك ولا يسخرونها في خدمتها ، وهى ما خلقت إلا لتسخر فى خدمة المعانى الانسانية . لهذا لست سامعاً من أفواههم سوى كلمات الفلاسفة العميقة فى ضآلة الدنيا وقلة قيمتها فى جانب الحياة الأبدية التى لا تم فيها ولا ظلم ولا ضلال ولا فجور ولا نزاع ولا شيء من معانى الحيوانية الشرهة ، ولست سامعاً سوى الحث على الايمان وعلى الاستقامة لأجل الفوز فى رضا الله يوم الدين المحتوم ، وسوى التحذير من أعمال الظلم والعصيان والخروج على قانون الله الذى وضع فيه عدله وحكمته البالغة ليظهر بها النفوس الانسانية من معانى الحيوانية والأناية ، ويوقظ فيها معانى الانسان السامية إلى أرفع مكان من مواضع الفضيلة والأدب والخلق

إنهم لن يصابوا بمصيبة من قتل أو موت أو ضيق أو بؤس أو فقدان محبوب إلا قابلوا تلك المصائب بكلمات فى التخريج والفلسفة ، فلسفة الحياة الدنيا ، تسمو على الرضا وعلى آلام الحياة الدنيا وآلام الإنسان كلها . ونستطيع أن نقول إن الناس هنالك كلهم فلاسفة وحكماء فى وضع الدنيا ووضع الماديات كلها . وهذا كله راجع إلى إيمان القوم بأن الحياة الدنيا ماهى إلا مزرعة الأخرى ، وأن الأخرى هى التى يجب أن يفنى فيها الإنسان ويبدل معانيه كلها فيما يقرب من الله ومن رضاه فيها ، وما الحياة الدنيا ، وما هى إلا عبارة عن أيام قليلة لا يدرك متى تنتهى ، وهى على كل حال منتهية ، أيام لا يدرك أين طرفها الأسفل ، مشوبة بكل معنى من معانى الألم والخوف والضلال ، مهدد الإنسان بكل لحظة بنهبها منه بأضعف

سبب؟ ما هي هذه الأيام في جانب دار الخلود التي ليس فيها شيء من آلام الإنسان، وليس فيها شيء من الضلال ولا الغرور ولا النزاع المحتدم لأجل لقيات يضعها المرء في جوفه لا يعرف هل يسيغها أم لا يسيغها ولعل حتفه فيها

والناس هنالك أيضاً عبارة عن جماعة نصبت لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ولتجارب الفساد والفجور والخروج على الآداب، كل واحد منهم سلطة منفذة حاكمة في طريق كل من تراوده نفسه على أن يبدو بشيء من المعاصي أو فاجر الأدب، أو معوج الخلق. لا يرى أحد منهم، كبير أو صغير، ظالماً أو عصياناً، أو أدباً فاسداً إلا ثار به وأزله بالقوة والقمع والقسر، غير منتظر في ذلك إذن قاض أو حاكم أو أحد من الناس، غير منتظر إلا حكم الشرع الحنيف وإلا سأم الأخلق العليا

لأجل هذا تضرب في طول البلاد وعرضها، فلا ترى شيئاً يندى له جبينك، أو شيئاً يباه الخلق الرضى أو الشرع الحنيف، لا ترى شيئاً من ذلك في بلدة من تلك البلاد مهما كانت بعيدة عن يد الحكومة وعينها وسلطانها المرهوب

وإن أنس لا أنس حادثة من هذا النوع الجليل وقعت في إحدى القرى هنالك. هذه الحادثة هي: أن رجلاً جرؤ وسب والدته، فشكت الوالدة ذلك الإبن العاق إلى أحد رجال الحى، فأمر هذا الرجل المشتكى إليه بإحضار جريد من النخل فأحضر ووضع أمام باب المسجد، وأخبر

المصلين بذلك ، فلما صلوا وقضوا الصلاة وصلى معهم ذلك الابن الذي سب والدته ، أمروا به فطرح أرضاً ونزل على بدنه جريد النخل من كل مكان من جسمه ، حتى أشفقت عليه أمه ، فوقعت عليه لتقيه الضرب . هذه حادثة هي كالمثال لأخذ الناس هنالك المجرمين بالشدة والقمع

وهذه نظرة عامة ألقيناها على أعمال هؤلاء الناس مصدر هذه الدعوة أو هذه الثورة تطلع القارىء الكريم على مقدار تمكن الدين والفضيلة من أنفسهم . ولعل القارىء يرى في ماسمع مثال المسلم الكامل أو المسلم الناقص ، على كل حال لعله يرى فيه مثال المسلم مهما تكن درجته ومهما يكن نصيبه وحظه من المسلم في القرآن

منذ سنوات طاف سائح أمريكي في بلاد أوروبا ، ثم طاف في بلاد الشرق ، ومنها بلاد العرب ، ثم ألقى محاضرة بالقاهرة عن بعض ما رأى في البلاد التي طاف بها . جاء في المحاضرة :

« لو خرج عيسى عليه السلام من جديد ، ثم أراد أن يعرف أتباعه ، لما وجد له أتباعاً إلا في الشرق ولا في الغرب . ولو خرج موسى عليه السلام ، ثم أراد أن يعرف أتباعه ، لما عرف له أتباعاً في الشرق ولا في الغرب . ولو خرج محمد عليه السلام ، وأراد أن يعرف أتباعه ، لوجدهم في قلب بلاد العرب ، في نجد »

وثيقة دينية

كان الإمام عبد العزيز الأول ابن محمد سعود، وهو الحلقة الثانية من سلسلة النسب السعودي، يشتمل على دين جم وعلى أخلاق كأنما انتزعت من كبد الشمس، وكان جاداً جداً في نشر الدعوة السلفية وإبلاغها إلى الناس، فكان يرسل إلى الأمراء والعظماء والعلماء رسائل يدعوهم فيها إلى دين الله الحق. وفيما يلي رسالة من رسائله التي دعا بها إلى الله، أرسلها إلى أشرف تهامة اليمن. نقلها من كتاب اسمه «نفع العود في سيرة أيام الشريف حمود»، وهذا الكتاب موجود في مكتبة جلالة الملك عبد العزيز، كما أخبرني الأستاذ خير الدين الزركلي. وهذا نص الرسالة:

«بسم الله الرحمن . من عبد العزيز بن سعود إلى من يراه من أهل المخلاف السليمانى، خصوصاً الأشراف أولاد محمد بن احمد حمود وناصر ويحيى وسائر إخوانهم وأولاد إخوانهم، وكذلك الأشراف بنى النعمى وسائر أشراف تهامة، وفقنا الله وإياهم إلى سبيل الحق والهداية، وجنبنا وإياهم طريق الشرك والغواية، وأرشدنا وإياهم إلى اقتفاء آثار أهل العناية أما بعد . فالموجب لهذه الرسالة أن الشريف احمد بن حسين قدم علينا فرأى ما نحن عليه، وتحقق صحة ذلك لديه، وبعد ذلك التمس منا أن نكتب لكم ما يزول به الاشتباه، فتعرفوا دين الإسلام الذى لا يقبل من أحد سواه

« فاعلموا رحمكم الله تعالى أن الله أرسل محمداً ، صلى الله عليه وآله ، على
فترة من الرسل فهدى به إلى الدين الكامل والشرع التام . وأعظم ذلك
وأكبره وزبده إخلاص العبادة لله لا شريك له والنهي عن الشرك ،
وذلك هو الذي خلق الله الخلق لأجله ودل الكتاب على فضله ، كما قال
(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل
أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما أمروا
إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)

« وإخلاص الدين هو صرف جميع أنواع العبادة لله تعالى وحده
لا شريك له ، وذلك بألا يدعى إلا الله ، ولا يستغاث إلا بالله ، ولا يذبح
إلا لله ، ولا يخشى ولا يرجى سواه ، ولا يرهب ولا يرغب إلا فيما لديه ،
ولا يتوكل في جميع الأمور إلا عليه ، وأن كل ذلك لله تعالى لا يصلح
شيء منه لملك مقرب ولا لنبى مرسل ولا شيء غيرهما ، وهذا هو بعينه
توحيد الألوهية الذي أسس الإسلام عليه وانفرد به المسلم عن الكافر
وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله . فلما من الله علينا بمعرفة ذلك وعلمنا
أنه دين الإسلام اتبعناه ودعونا الناس إليه ، وإلا فنحن قبل ذلك على
ما عليه غالب الناس من الشرك بالله من عبادة أهل القبور والاستغاثة
بهم والتقرب بالذبح لهم وطلب الحاجات منهم ، مع ما ينضم إلى ذلك من
فعل الفواحش والمنكرات ، وارتكاب الأمور المحرمات ، وترك الصلاة ،
وترك شعائر الإسلام ، حتى أظهر الله تعالى الحق بعد خفائه ، وأحيا
أثره بعد عفائه ، على يد شيخ الإسلام ، فهدى الله به ماشاء من الأنام ،

وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أحسن الله تعالى إليه بأخوته المآب ، فأبرز لنا ماهو الحق والصواب من كتاب الله تعالى المجيد ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فبين لنا أن الذي نحن عليه وهو دين غالب الناس اليوم من الاعتقاد في الصالحين وغيرهم ودعوتهم والتقرب بالذبح لهم والنذر والاستغاثة بهم في الشدائد ، وطلب الحاجات منهم ، هو الشرك الأكبر الذي نهى الله تعالى عنه وتهدد بالوعيد الشديد عليه ، وأخبر في كتابه أنه لا يغفره إلا بالتوبة منه ، قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) ، وقال تعالى (والذين تدعون من دون الله ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير)

والآيات في أن دعوة غير الله تعالى شرك أكبر كثيرة واضحة شهيرة . فحين كشف الله لنا الأمر وعرفنا ما نحن عليه من الشرك والكفر بالنصوص القاطعة والأدلة الساطعة من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأئمة الأعلام الذين اجتمعت الأمة على درايتهم ، عرفنا أن ما كنا عليه وما كنا ندين به أولاً أنه الشرك الأكبر ، الذي نهى الله عنه وحذر ، وأن الله إنما أمرنا أن ندعوه وحده ، وذلك كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله

من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر
الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين)

« إذا عرفتم هذا فاعلموا رحمكم الله تعالى أن الذي ندين به هو
إخلاص العبادة لله وحده ونفي الشرك وإقام الصلاة في الجماعة وغير
ذلك من أركان الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولا
يخفى على ذوى البصائر والأفهام ، والمتدبرين من الأنام ، أن هذا هو
الدين الذى جاءنا به الرسول قال جل جلاله (ومن يتبع غير الإسلام
ديناً فلن يقبل منه) وقال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً)

« فمن قبل هذا ولزم العمل به ، فهو حظه فى الدنيا والآخرة ، ونعم
الحظ دين الإسلام ، ومن أتى غيره واستكبر فلم يقبل هدى الله لما
تبين نوره وسناه عبنا ذلك عليه وقتلناه قال تعالى (وقتلوه حتى
لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وقصدنا بهذه النصيحة إليكم
القيام بواجب الدعوة ، قال تعالى (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على
بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين) وصلى الله
على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً » انتهت الرسالة

ولهذه الرسالة عندنا ميزة خاصة من جهات كثيرة لأجلها آثرنا

نقلها هنا

التجديد في الإسلام ورأى الشيخ المراغى

يدعى قوم لم يرسخوا في الإيمان ولا في العلم أن شرع العقوبات البدنية في الشريعة الإسلامية شرع لا يتفق والرحمة بالإنسانية ، بل هو شرع قاس مسرف في القسوة ، لا يصلح الأخذ به في كل زمان ومكان ، كما لا يصلح للأمة الراقية المتحضرة أن تتخذ شرعاً لها تماقب به بنيتها إذا ما وقعوا في المخالفات التي هي لازمة من لازمات الجبلية الإنسانية ، فترجم ذلك الإنسان الذي يوقعه ميله الجنسي في ذلك الذنب الجنسي ، وتقطع يمين ذلك الإنسان الذي تعريه حاجته ويغريه حب المال بالسرقة والاجترار على أخذ أموال الناس ، وأمثال ذلك من العقوبات الهائلة المذكورة في القرآن وفي السنة

والمعتدلون من هؤلاء يزعمون أن هذه العقوبات كانت صالحة لأن يعمل بها في الزمن الأول الذي نزلت فيه يوم أن كانت النفوس حيوانية صرفة لا يردعها الردع المطلوب سوى أقسى العقوبات وأفظعها وأبعدها عن معاني الرحمة والرأفة والشفقة . أما بعد ذلك العصر ، وأما في هذا العصر الحاضر الذي ارتقت فيه الإنسانية وقاربت أن تكون ملائكة أطهاراً ، وفهمت معنى الجريمة والخطيئة وما فيهما من قبح يردع العاقل وحده عنهما لنفسهما لا لشيء آخر : أما في هذا الزمان فلا تصلح معاقبة الناس بهذه العقوبات الصارمة . إنما هي لقوم همج ذهبوا

هذه أقوال وآراء يتفوه بها كثيرون من رجالات شهبوا
بالدفاع عن الإسلام والذب عنه ذباً يجعل صدور هذه الأقوال منهم
مناقضاً لمواقفهم من الإسلام والدفاع عنه

وقد علمت من صديق صادق أن أحد هؤلاء ذهب لأداء
فريضة الحج في الأعوام الأخيرة ، فلما رجع من هنالك سأله عما
شاهده في ذلك القطر من مظاهر النهوض والعمران ، فكان مما قال
أنه لا يرضى عن الحالة هنالك ، وذلك أن عقوبات شديدة ، كقطع يد
السارق ورجم الزاني ، توقع في تلك البلاد ، وهذا غاية القسوة . فقال له
الحاضرون إن هذا هو شرع الإسلام الذي لاخلاف فيه بين أهل
الإسلام في عصر من عصوره ، وإن هذه المؤاخذة التي تعدها على
حكومة تلك البلاد هي من الحسنات التي نعدها نحن وسائر الناس
لها . فما كان من ذلك القائل المجدد إلا التراجع والهروب

وحدثني صديق آخر أثق بخبره ، وهو يعرف مايقول : أنه ذهب
إلى أحد هؤلاء المجددين أو المتجردين كما يسميهم الأستاذ محب الدين ،
فسأله عن بعض الشؤون الإسلامية التي هي من خصائص ذلك
المجدد ، ثم سأله عما يرجوه لحكومة الحجاز ، فأجاب بما لم يرضه وكان
في جوابه هجوم . وكان الذنب كله لتلك الحكومة عند هذا المجدد
أنها تنفذ العقوبات الإسلامية وهذا قسوة لا تطاق ، وذكر في كلامه
أن هذه العقوبات كانت لأزمان همجية ولت

هذا باب من أبواب المروق من الدين يحاول كثيرون اليوم فتحه

على مصراعيه ، بل تحطيمه بلا حيلة ولا تحفظ . وكثير من هؤلاء
يجمعون بهذا الإلحاد جمجمة ويلوحون إليه تلويحاً . وعن قريب ،
لا قدر الله ، يصرحون ويظهرون ، بل ويكتبون ذلك في صحف منشرة
مقروءة ، إن لم يقم من يقف دون هذا البلاء المنهزم من ذوى النفوذ
المعنوى الشجاع . والله يحفظ دينه من عبث العابثين وكيد الكائدين
وفي أثناء كتابة هذا الفصل أطلعني بعض الإخوان على كلام في
جريدة الأهرام عدد ١٨٣٩٦ بتاريخ ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٦ قاله الأستاذ
المراغى شيخ الجامع الأزهر لوفد الشبان العراقيين . أطلعني ذلك الصديق
على ذلك الكلام لأنه رأى فيه ما لم يطمئن إليه قلبه أو ما أشكل
عليه أمره .

ولقد وجدت في كلام الأستاذ المراغى المذكور ما يدعو إلى
الريب والقلق ، وما يستحق أن ينظر فيه بعين العناية والاهتمام ، فقد
جاءت فيه فقرات تخيف وتجعل قارئها يقف أمامها وقوف المرتاب
الحائر ، ثم وقوف الآسف العاض على بنان الحسرة . جاءت فيه فقرات
كدت لا أصدق أنها للشيخ المراغى حوارى الشيخ محمد عبده ، ورجل
الإصلاح الذى اتفقت كلمة الصحف العربية في مصر بأنه هو رجل
الإسلام في هذا البلد في هذا العصر . فقرات خشيت أنها تعنى ما يعنى
أمثال ذينك المسلمين المجددين اللذين أسمعتك رأيهما فى العقوبات
الإسلامية والحدود الشرعية . وهذا شئ يأسف له والله كل مسلم

وإني أعرض ما أنكرته من كلام الأستاذ الأكبر على حضرات
قراء هذا الكتاب ليكونوا على علم بما يراد بدينهم فلا يخذعوا في
أعز شيء لديهم، أعني الدين
قال الأستاذ المراغي :

« وإن من ينظر في كتب الشريعة الأصيلة بعين البصر والحدق
يجد أنه من غير المعقول أن تضع قانوناً أو كتاباً أو مبدأ في القرن
الثاني من الهجرة ثم تجيء بعد ذلك فتطبق هذا القانون أو الكتاب
أو المبدأ في مصر أو في العراق في سنة ١٣٥٤ هـ »

عفا الله عنا وعن الأستاذ المراغي وغفر له ما بدر منه، ورزقنا
وإياه التؤدة في إصدار الأحكام والأقوال في الدين وشرع الله
إنه لمن المعقول جداً أن يكون ذلك القانون أو الكتاب أو
المبدأ صالحاً في القرن الثاني الهجري مطبقاً عليه في الحجاز وغير الحجاز ،
ثم يكون صالحاً أيضاً في القرن الرابع عشر من الهجرة مطبقاً عليه في
الحجاز وغير الحجاز - إذا ما كان ذلك الكتاب أو القانون أو المبدأ
موافقاً لحكم الله ولعدله والمنطق . وغير ذلك هو الذي من غير المعقول
وغير المقبول . إن الشأن كله في موافقة القانون والكتاب والمبدأ
لشرع الله وللعادلة عند العقلاء كافة . فالموافق مقبول ومعقول ،
والمخالف لاقبول ولا معقول . ولا شأن للزمان ولا المكان في تغيير
الأحكام الشرعية الإسلامية البتة . فالقانون والكتاب والمبدأ :
هذه الأمور ، إذا كانت لا تقابل شرع الله كانت غير مقبولة وإن

وضعت في القرن العشرين أو ما قبله أو ما بعده ، وهي مقبولة جداً
إذا ما كانت موافقة شرع الله وعدله ورحمته ، وإن كانت موضوعة
في القرن الأول الهجري أو ما قبله أو ما بعده

والزعم أن الأحكام الشرعية تبدل حسب تبدل الزمان ، زعم
لا يقبله المسلمون البتة ، بل المسلمون كافة يعلمون أن حكم الله المعين
صالح لكل زمان ومكان ، بل كل حكم شرعي كان يعمل به في القرن
الثاني من الهجرة صالح لأن يعمل به في كل زمان ومكان . وكيف يصح
الادعاء أن القانون أو الكتاب أو المبدأ لا يصلح في هذا القرن إذا
كان موضوعاً في القرن الثاني من الهجرة ، ونحن نعلم أن القوانين
الوضعية الموجودة اليوم في البلاد المتحضرة هي قوانين تكاد تكون
قديمة ، وتكاد تكون منتسخة من القانون الروماني ؟ ! بل وكثير من
أحكام القوانين الأوروبية الحديثة مأخوذ أخذاً من بعض المذاهب
الأربعة الإسلامية ، ومنتزع انتزاعاً كما يعلم ذلك أهل الخبرة ؟؟؟
ولا ندري كيف يصلح العمل بقانون نابليون في هذا القرن ولا يصح
بكتاب « الأم » للإمام الشافعي أو كتاب « الموطأ » للإمام مالك ؟ !
إن قول الأستاذ هذا يدل على أنه من غير المعقول العمل اليوم بهذين
الكتابين أو المذهبين ، وهذا عجيب جداً . ثم لا ندري ما الفرق بين
ما يوضع في القرن الثاني الهجري وما يوضع في القرن الأول ، إذا ما كان
المدار على تقدم الزمان وتأخره لا على ما في القانون من قوة وضعف
وحق وباطل ؟؟؟ ! أو ليس الموضوع في القرن الأول الهجري أولى من

الموضوع في القرن الثاني بما قاله الأستاذ المراغي ، إذا كان الأمر كذلك .
أى إذا ما كان لقدم الزمان وتأخره أثر في صحة القانون أو بطلانه .
هذا مثلاً مذهب الامام الشافعى الموضوع في كتاب الأم ، وهو موضوع
في القرن الثاني الهجرى وهو مستنبط من كتاب الله ومن سنة رسوله
عليه الصلاة والسلام ، فهل يقول الأستاذ المراغى إنه من غير المعقول
العمل به في القرن الرابع عشر في مصر أو في العراق أو الشام أو بلاد
أوروبا أيضاً ؟ ونحن واثقون أن الأوربيين أنفسهم لو عملوا به لكان
أهدى لهم وأحكم من قوانينهم . ولا نحسب المراغى ينازع في ذلك .
وهل يقال إن الأحكام او المبادئ التى تضمنها ذلك المذهب الموضوع
في ذلك الكتاب من غير المعقول العمل بها في هذا العصر في مصر أو
العراق . وهل هذا القول إذا ما قيل يكون من المعقول ؟ وهل تلك
الحدود الشرعية الموجودة في الكتاب من غير المعقول تطبيقها على
أهل هذا العصر ؟

ثم يقول الأستاذ المراغى :

« وإن من ينظر إلى أقوال الأئمة من مذهب أبى حنيفة وما وقع
بينه وبين أصحابه محمد وزفر وأبى يوسف وبينهم هم ، يجد أن التجديد
في الأحكام الشرعية ميسور لنا وفي أهون مستطاعنا ، ويجد أن بطلان
الدوام لأحكام معينة وبقاءها حيث يبقى الدهر من الأمور البدئية »
أما نحن فنقول إن الميسور لنا هو أن نجدد أحكام الشريعة المنثرة
المضيعة بالعمل بها وتطبيقها على أعمال المكافين ، ومن الميسور أيضاً تفهمها

واستخراج الأحكام منها ، وألا تنقيد بكل ما يقال من الآراء فيها . أما التجديد في الأحكام نفسها فغير ميسور ولا مستطاع لنا . فإن التجديد فيها معناه الإتيان بأحكام جديدة أخرى لم تكن موجودة في الزمان الأول . وإذا ما فعلنا ذلك كنا مخترعين مبتدعين أحكاماً ليست هي الأحكام التي أرادها الشارع . والأحكام التي تبتدع في الإسلام ليست من الإسلام كما يعلم الأستاذ أن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكما يسمى جداً في مناهضة الابتداع والقضاء المبرم عليه

مثلاً حكم الإسلام في السارق أن تقطع يده ، فإذا جدد مجدد في هذا الحكم وادعى أن السارق يسجن أو يعاقب عقوبات أخرى غير القلع كان هذا التجديد مروفاً من الإسلام وخروجاً عليه لدى جميع المسلمين . وإن كان الميسور لنا والواجب علينا تجديد هذا الحكم نفسه بأن نسعى للعمل به بعد أن تركه الناس وعملوا بغيره . وهذا هو الذي يدل عليه كلام أبي حنيفة وأصحابه وسائر العلماء . وكل تجديد في الإسلام على غير هذه الصورة هو خروج من الإسلام ولا ريب . وبعبارة أخرى نقول : هذا المجدد فيه إما أن يكون هو الحكم الذي أراده الشارع من خطابه أو غيره . فإن كان هو إياه ، لم يكن فيه تجديد مطلقاً ، وإن كان غير ما أراده الشارع كان تجديداً حقاً ولكنه يكون حينئذ مردوداً لأنه ليس من الإسلام أصلاً

والتجديد على حسب ما تقول كل العلماء يقولون به . فما معنى اختصاص أبي حنيفة وأصحابه به؟! وهل أحد ينازع في هذا التجديد أو

يأباه؟! إذن التجديد الذي عناه الأستاذ الأكبر هو التجديد الذي لا يقبل، وهو الشق الآخر

وأما قوله: « ويجد أن بطلان الدوام الخ » فقول لا يمكن أن يصح لاعقلا ولا ديناً ولا منطقاً. فان أحكام الشريعة الاسلامية هي أحكام معينة معروفة، وهي واجب العمل بها على المسلمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها، لا يجوز إبطالها لا ونسخها ولا الزيادة فيها ولا النقصان. وهذا من الأمور البديهية عند المسلمين كافة ليس من مواضع الخلاف والنزاع. على أن هذا القول من الأستاذ المراغى غريب من حيث هو ليس صحيحاً لاعقلا ولا ديناً، فان الكذب والزنا والقتل أمور حكمها التحريم والشناعة في كل زمان ومكان. ولا يمكن بطلان هذا الحكم البتة، فدوامه لهذه الامور من الاشياء اللازمة. فكيف يصح قول الأستاذ المراغى هذا؟! لا ريب أنه غلطة عظيمة

ثم يقول المراغى: « واقد وضع علماء الحنفية قاعدة تشريعية هي أن العرف العام يعمل به والعرف الخاص أيضاً. والعرف العام عندهم يخصص النصوص والقياس ويترك به ظاهر الرواية وكذلك يترك ظاهر الرواية بالعرف الخاص »

ولا نعرف كيف يخفى على الأستاذ أن الله يرسل الرسل وينزل الكتب لأجل محاربة العرف الفاسد. وهل كان الضلال في كل زمان إلا عرفاً؟! وهل كان الفجور في كل وقت من الأوقات إلا عرفاً خاصاً أو عاماً؟! إن العرف لا يمكن أن يكون صحيحاً مقبولاً دائماً، فكيف يمكن

أن يكون قوياً تترك له النصوص والروايات ويخصص القرآن والسنة؟! وإذا كان العرف الخاص أو العام حجة شرعية فكيف نستطيع أن ننهي ضللاً عن ضلاله أو فاجراً عن فجوره؟! وهل الخرافات والمبتدعات التي لا يرضاها الأستاذ المراغى إلا عرف لأصحابها؟! إن دعاء الأموات والاستعانة بهم عرف اصطلاح الناس عليه . فهل يقال إن هذا العرف الفاسد يخص النصوص القاضية بالأيديعي إلا الله وألا يستعان إلا به؟! وهل سائر البدع الأثيمة الفاشية ما بين المسامين إلا عرف للناس عام أو خاص؟! فهل ذلك من الدين؟! وهل يخص الروايات القائلة بأن جميع البدع ضلالات؟! وهل فجور النساء اليوم وخلاعتهن الفاجرة وبروزهن في كل مكان هذا البروز الفظيع المنكر إلا عرف فهل ذلك من الدين؟! لا جرم أن القول بهذه القاعدة، قاعدة العرف الخاص والعام وتخصيص النصوص بها، قول لا يقوم معه دين ولا عقل ولا منطق أيضاً . ولو صح هذا القول لبطلت الكتب كلها من دينية وخلقية واجتماعية، ولا كتفى الناس بعرفهم الخاص أو العام . وهل كانت كتب الأخلاق والتربية والأدب إلا لمحاربة العرف خاصاً وعماماً؟! ليس من ريب أن القول بالعرف قول بالفوضى والهمجية التي لاحدها . إن القانون لمعرفة صحة الحكم وبطلانه هو البرهان لا العرف، وهذا الاخلاف فيه بين العقلاء . فلا ريب أن الأستاذ الأكبر لم يتدبر جيداً هذه العبارات التي انفلتت منه، ولا ريب أنها عبارات يجب الرجوع عنها والاعتراف بجنوحها عن سبيل الصواب والوضوح

بعد هذا كله نرجع ونقول : إن أحكام الشريعة ، من عقوبات وغيرها ، التي كانت قائمة في القرن الثاني الهجري صالحة لأن يعمل بها في كل زمان ومكان ، وإنه لا أضمن منها لمصالح العباد وحمل النفوس المتتوية على الاستقامة واجتناب الرذائل ، وإن البشر لا يمكن أن يعيشوا بسلام وأمان من العدوان والفوضى إلا إذا كان سيف الشرع مسلولاً فوق رؤوسهم ، وكان قانون السماء الذي طهر ذلك العصر الجاهلي الأول من أدوائه وحمقاته وحسم من تلك البلاد العنيدة مادة الجور والشر والفساد الذي لا يستطيع شيء السلامة منه - قائماً محكماً

إن الإنسان هو الإنسان في كل مكان وزمان ، فإذا لم يدع القسوة في الزمان الأول إلا بالقسوة ، فإنه في هذا الزمن أيضاً لن يدع القسوة إلا بالقسوة . إنه لا شيء يقدر على ردع الناس عن الاعتداء على الناس إلا أن يحكموا شرع الله وعقوباته التي يقول الجاهلون إنها قاسية شديدة . لتكن قاسية ولتكن شديدة ، فإذا يكون؟! والطيب الرحيم القلب الرقيق الإحساس يقطع عضو ابنه وأحب الناس إليه وأقربهم إلى فؤاده ورحمته . والقسوة أحياناً رفق وعطف وشفقة . والرحمة بلا قسوة ضعف بحت . ولن يستقيم الناس بالضعف

إن البرهان الواقعي الذي لا يقاوم على أن الناس لا يصلحون إلا بالشريعة وعقوبات الشريعة ما يشاهد اليوم في جزيرة العرب ، في المملكة السعودية المحكومة بالشريعة من أمن وأمان واستقرار في كل

شيء من مظاهر حياتها ، ثم ما يشاهد في سائر البلاد المتحضرة
المحكومة بالقوانين البشرية من قلق واضطراب واعتداء

إن الإنسان في سائر بلاد العالم لا يأمن على نفسه ولا على ماله
ولا على شيء مما يحافظ عليه . وإن الناس في بلاد أمريكا وغيرها ، وفي
بلاد مصر وغيرها ، يسرقون في وضوح النهار وعلى أعين الناس وأعين
رجال الحكومة نفسها ، وإن الأعراض تذبح علناً ، وإن الأموال
تنهب . كل ذلك معروف معلوم ، والقوانين البشرية قائمة ، والسجون
مفتحة أبوابها ، والحراس مرصدون في كل مكان ، والجواسيس
مبتوثون في كل مرصد ، والعلوم منتشرة ، والثقافات قائمة سوقها : كل
ذلك وأكثر منه لم يستطع المحافظة على أرواح الناس وأعراضهم .
ولكن المملكة السعودية استطاعت المحافظة على ذلك كله أبرع
محافظة بشيء يسير لم يكفها جنداً ولا حرساً ولا سجوناً . هو أن
حكمت الناس بالشرع فقط . أقامت حدوداً معدودة فتناذر الناس
وأبصر كل امرئ طريقه في تلك البلاد والشعاب التي قدت
صخورها من قلق وجور وتمرد ، وصارت تلك المملكة المثل الأعلى
لعيش الهدوء والاستقرار والنظام . أليس في هذا دليل مادي حسي
على أن الناس إن يعيشوا بسلام إلا إذا أخذوا بحكم الإسلام ؟

لقد عرف الناس كيف كانت حالة البلاد قبل أن تحكم بهذا
القانون الذي يتهمة الجاهلون بالقسوة : كان الحجاج ينهب من خجاج
مكة المكرمة وسائر مدن الحجاز ، وكان المسافر لا بد له من خفارة

الأعراب ولا بدله من أن يدفع لهم الجمل لبسلم بنفسه ، ولكنه مع ذلك لا يسلم ولا ينجو ، وكان الحاج يكتب وصيته عند إزماعه السفر إلى الحجاز لعله أنه رام بنفسه في أحضان الموت والتهلكة ، وكان الحجاج لا يسيرون إلا مسلحين بأكمل الأسلحة ، وكانت الدولة التركية عاجزة عن اقرار الأمن هنالك ، عاجزة عن دفع خطر الأعراب عن رعيته . ولكن عقوبات معدودة من هذه الحدود التي لا يرضاها المجددون استطاعت القضاء على كل القلاقل المزعجة ، واستطاعت إقرار الأمن بصورة ما أظن الناس كانوا يحملون أن تكون في الحجاز في عصر من العصور

إن هذه البلاد التي تشكو اليوم قلق حبل الأمن وبغى المجرمين واللصوص المتغامرين ليكفيها لإزالة قلقها وما تشكوه أن يقام فيها بضع عقوبات من عقوبات الإسلام وحدوده ، فيزول ما بها وتظفر بالأمن والراحة حقاً ، وإنها لن تظفر بذلك بغير هذا

إن السجن لا يمكن أن يكون يوماً رادعاً النفوس عن الشر والاجرام . وكفى المشاهد دليلاً صارخاً . وما أكثر من يرغبون في عيش السجن ممن ضاقت بهم سبل العيش وممن ذاقوا فوضى السجن . وكم سمعنا من يهدد الناس بالقتل قائلاً : لا تقتلك ولا قبلن في دمك سجنناً مؤبداً . لأن ذلك عنده امر يهون وقد يستعذب .

إن من يستعظم هذه العقوبات على أهل الفساد الذين لا يدعون الناس المسالمين يعيشون بسلام واستقرار وأمان على أرواحهم

وأموالهم لغاش للإنسانية بعيد عن العدل والشفقة التي يدعيها
وأما الزعم أن النفوس الانسانية ارتقت فزعم كاذب ، والواقع
أكبر دليل على كذبه ، بل الانسانية تتدلى بطفرة من الجهة الخلقية
تدلياً لا تمكن الممارسة فيه ولا الخلاف في بعد قراره . وما يظن أنه أتى
على الناس عصر فسقت فيه النفوس وتمردت واستخصبت مرتع الفجور
والخروج على شرع الله ونظامه كهذا العصر

والرقى المزعوم هو رقى صناعى صرف لاحظ للأخلاق ولا
للكمال فيه . والرقى الصناعى إن لم يصاحبه الرقى الخلقى عاد هبوطاً ونكبة
على الانسانية وعلى الأخلاق وعلى الصناعة أيضاً وعلى كل شىء . وقائل
غير هذا غاش أو جاهل

وما ارتقت الانسانية فى عصر من عصورها ارتقاءها فى عصر
الاسلام الأول يوم أن كانت مقاليد العالم فى أيدي أولئك الصحابة
والخلفاء الذين كانوا يوقعون هذه العقوبات الصارمة بمن اعتدى على
حرم الأخلاق أو أساء إلى المعانى الانسانية أو امتهن الشرف الرفيع . وهل
عامت أو علم الناس نفوساً أرقى وأطهر من نفوس كانت الواحدة منها
إذا ما خدعها هواها وما فى جبلتها من ضعف جنسى فاقترفت بعض
الآثم ندمت أقسى الندم ، وآذاها ضميرها أذى لم تجد ما يهونه غير أن
تقدم حياتها وتبذلها فى سبيل متابها . فتقدم إلى رسول الله قائلة : يا رسول
الله اقرت ذنبا فطهرني وأقم على حد الله . وهى تعلم أنه لن يطهرها
سوى الموت الناجز . فتموت راضية إلا على الذنب الذى بدر منها .

فهل علمت أو علم الناس نفوساً أظهر أو أرفع من هذه النفوس؟! إن
يستطيع الجاهلون أو المخادعون أن يذكروا في هذا المقام نفوس أهل
باريس أو لندره أو برلين أو جنيف أو مجلس عصبة الأمم أو عصبة
الاستعمار

والانسانية، ارتقت أو هبطت نزلت أو صعدت، إن تحكّم بحكم
أفضل من حكم الله وحكم رسوله، ولن يسوسها سياسة تكفل مصالح
دنياها وأخراها مثل الشرع السماوي. وأي شرع هو خير من شرع الله
الذي نزل به جبريل سيد أهل السماء على محمد سيد أهل الأرض لدى
من يؤمن بالله وملائكته ورسوله؟!!

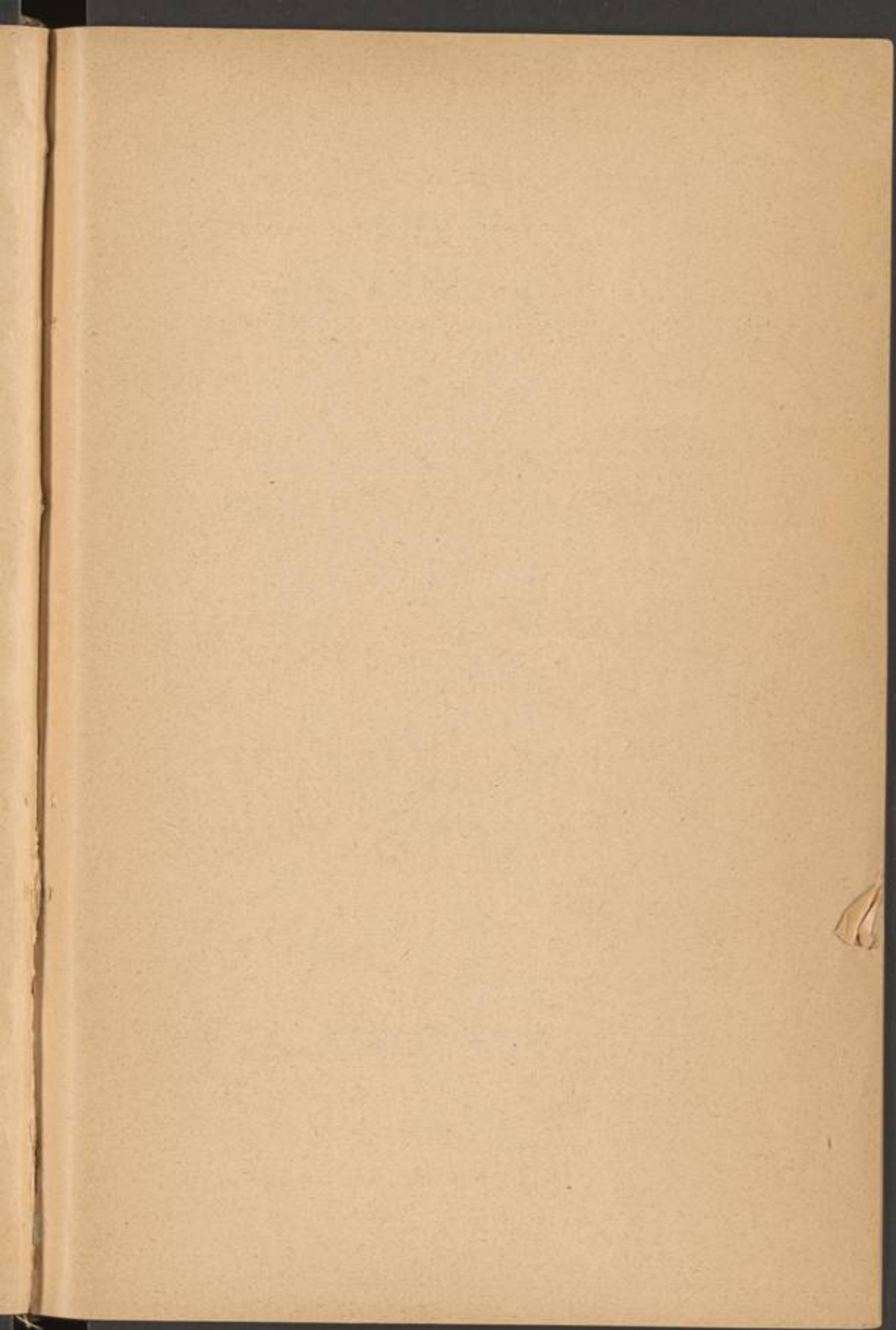
وليعلم هؤلاء أن الناس لن يؤمنوا بالدين إيماناً صحيحاً مشمراً
الاستقامة والورع إلا إذا تركت نصوصه بعيدة عن التأويلات
الهوجاه العليلة، وإلا إذا ما أخذ كما جاء سليماً غصاً بعيداً من الابتداع
والاختراع. والاستقراء على ما نقول أكبر دليل وشهيد

عبر الله على الفصيمي



الفهرس

أروع ثورة	٥
الدعوة الوهابية	١
تمهيد	٥
الحادث الأكبر	٥
أهم مادعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب	١١
نظرة نافذة	١٤
ما أصاب الدعوة	٢٧
الشبل الثأر	٣٠
نبوغ الصحراء	٣٤
الإخوان والهجر	٤٨
سؤال وجوابه	٥٥
أنصع صفحة في تاريخ نجد	٦٣
تناجح الحركة في الخارج	٦٧
المأمول	٧٣
لها . وعليها	٧٨
اعتبار	٨٨
الدعوة في كلمات	٩١
أيها العربي . .	٩٦
نظرة عامة	١٠٩
وثيقة دينية	١٢٣
التجديد في الاسلام ورأى الشيخ المراغى	١٢٧



كتب المؤلف

البروق النجمية

في التوحيد . في التوسل والوسيلة . في البدع الملتصقة بالدين . الآيات . الأحاديث . الآثار الموجودة في هذا الموضوع

سبوغ الأزهري

الدلائل من المعقولات والمنقولات على أن الدين دين كامل لا يتحمل الزيادة ولا البدعة ، ولا يتحمل التحوير ولا التغيير

الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفهم

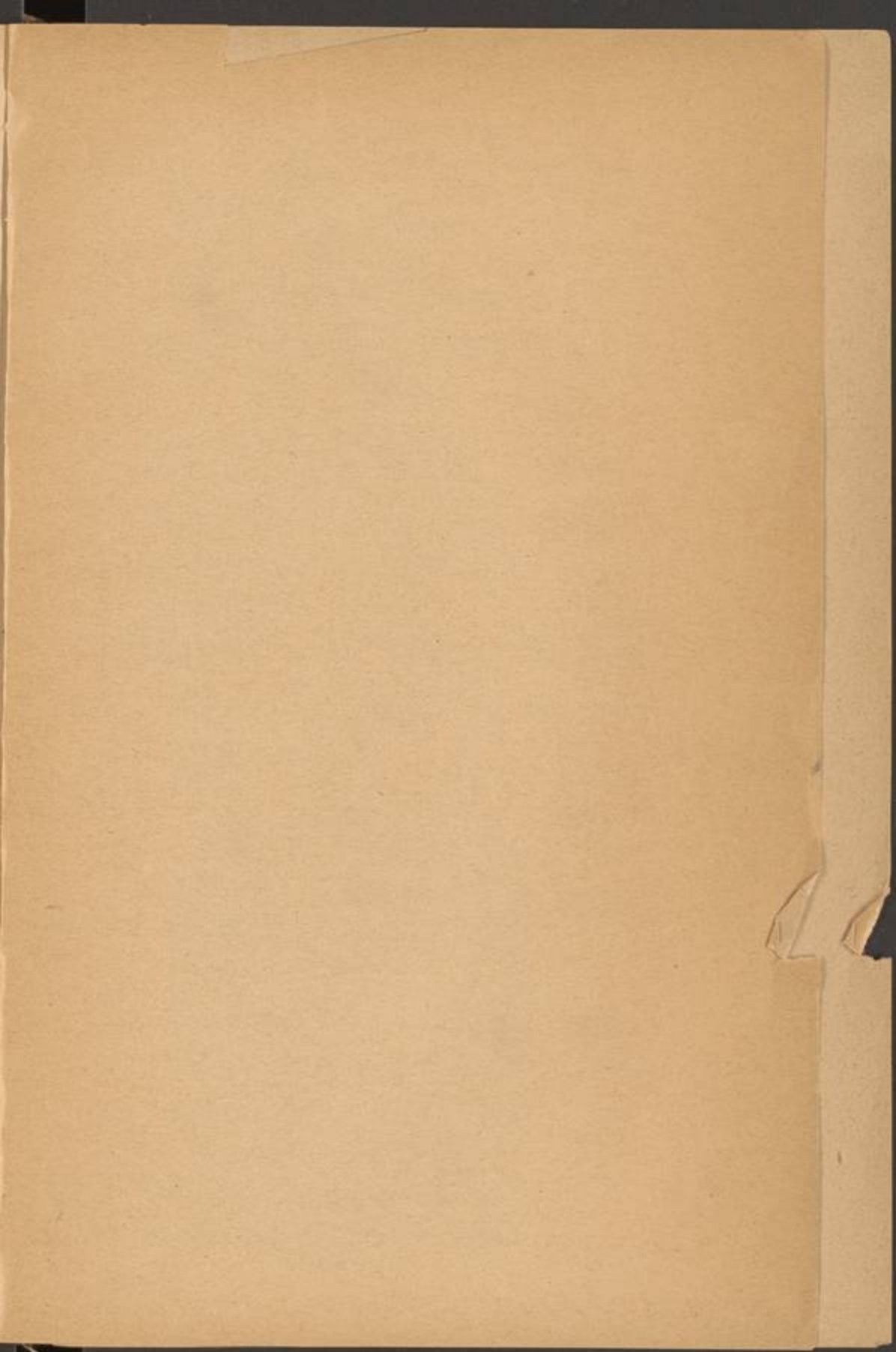
يدرس المواضيع المختلف فيها قديماً وحديثاً بين السلف والخلف ، أو بين الوهابيين والمبتدعين

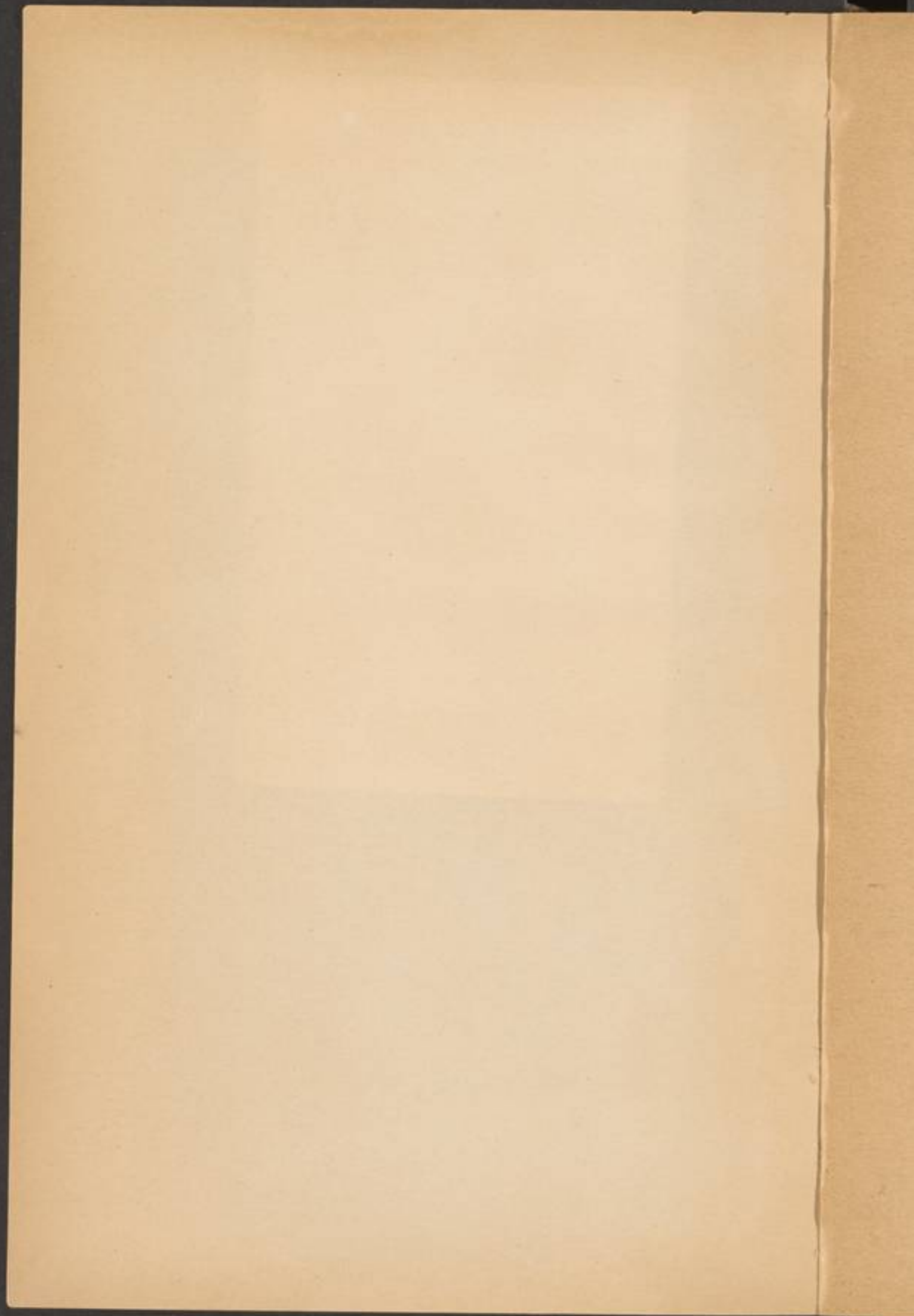
مشكلات الأحاديث النبوية

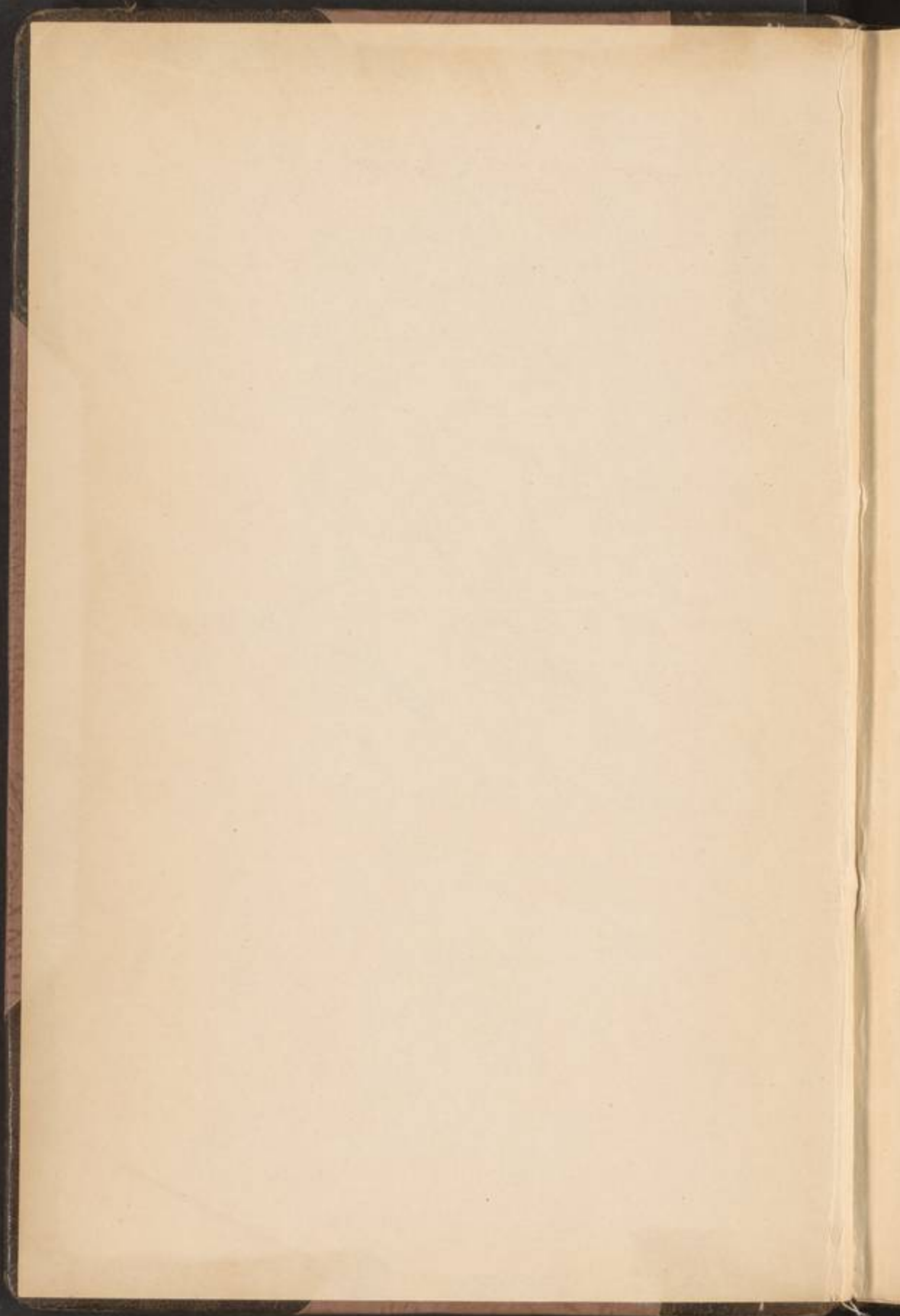
يشتمل على الأحاديث النبوية التي استشكلتها العلوم المادية من طيبة وجغرافية وفلكية وعقلية وحسية . فيه بيان هذه الأحاديث بياناً عصرياً

نقد كتاب حياة محمد

كل من يقتنون كتاب حياة محمد، للدكتور هيكل لامندوحة لهم عن أن يعرفوا ما في هذا الكتاب من الأغلاط العلمية والدينية . وقد وقع للدكتور من هذا النوع قسم كبير يجب على قارئ كتابه أن يتنبه له . وكل الذين كتبوا عن هذا الكتاب كتبوا عنه من جهة المديح وقد أهملوا ناحية المآخذ . وفي هذا الكتاب إحصاء المآخذ الدينية والعامة الواقعة في هذا الكتاب







NYU - BOBST



31142 00101 5679

BP195.W2 Q8

al-Thawrah al-Wahhabiyyah